أرشيفو

ARCHIVO

نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن

مـركـــز أوال للـــدراســـــات والتوثيـــق

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن

مـركـــز أوال للـــدراســـــات والتوثيـــق

العدد 5 -نيسان/أبريل2017

نشرة فصلية تصدر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو) تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الإرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arguiv).

رئيس التحرير : د. علي الديري
هيئة التحرير : وسام السبع، آلاء هاشم
سكرتيرة التحرير : نور بكري

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

info@awalcentre.com | www.awalcentre.com

awalcentre

الفهرس

1 | الافتتاحية 5
وثيقة من ذهب 5

2 | أمناء الذاكرة 9
عبد الوهاب القاروني: حصاد الهجرة وأشتات الذاكرة 9

3 | ديوان الذاكرة 19
مركز النّهار للمعلومات والأبحاث 19
دار الكتب والوثائق القوميَّة في القاهرة 26

4 | ثقافة أرشيفية 35
الميتاداتا وتوصيف المصادر الإلكترونيَّة معيار دبلن كور نموذجًا 35
أرشيف الويب.. حفظ ذاكرة الإنترنت 41
قطاع اللام: اتّحاد مؤسَّسات ذاكرة الوطن 47

5 | وثيقة وحكاية 57
من والي البصرة إلى «قائمقامية» الدوحة 57
العلاقات العربية - التركية

6 | ذاكرة الصورة 61
التأريخ بالصّور: الشّوير وبيروت مثالًا 61
حي النعيم.. حسراتٌ في نفوس كرام 66
بيروت القديمة استقلّت الترامواي ورحلت إلى اللاعودة 69

7 | كشكول 73
تجربتي مع التّاريخ الشّفهي 73
التاريخ الشفهي: خصوصيّته كمدخل للتعرّف إلى تاريخ أفريقيا السّوداء 75

8 | متابعات 81

الافتتاحية

وثيقة من ذهب

رئيس التحرير

أمناء الذاكرة

المؤرّخ الدكتور عصام خليفة
البحث في ملفّات التّأريخ عمل لا ينتهي أبدًا

زينب الطحان

بينحدر المؤرخ عصام خليفة من بيتٍ توارث فيه الثقافة أبًا عن جد. جدّ العائلة الخوري يوسف فارس خليفة كان كاهنًا في قرية حدتون الواقعة في جرد البترون، وكان خطّاطًا ينقل الكتب من اللغة السريانيَّة والأرمنيَّة والعربيَّة. يذكر أنَّ والده قال له يومًا إنّه «استهلك 12 رطلًا من الحبر». يبتسم خليفة عند جملته الأخيرة. كان والده، كجدّه، زجالًا، يقتني الكتب ويشترك في المجلات. لا يزال يذكر تلك المكتبة التي كانت تنتصب وسط بيته. يقول الدكتور خليفة إنّه نهل منها، وقرأ الروايات العالمية والشعر العربي والأدب اللبناني فتمكّن من اللغة. ويضيف: «بدأنا قراءة الكتب من الصّف الابتدائي الأول».

رحلة خليفة مع الأرشيف

أبدع في اللغة العربيّة، غير أنّه تولّع بالتاريخ أيضًا، فأحزن قلب أستاذه حين اختار التخصص به. تخرج من الجامعة اللبنانية في العام 1972، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا، بعدما هاجر إليها حين بدأت الحرب الأهلية، وكانت أطروحته تتمحور حول النظام الطائفي والعلمانية من العام 1958 إلى العام 1975. اشتغل بالأرشيف الفرنسي والأرشيفات المحليّة كلها، وجمع كمًّا كبيرًا من الكتب والوثائق، بيد أنّه صبّ اهتمامه فيما بعد على الفتح العثماني، بدءًا من العام 1516، فأصبح لديه حتى اليوم خمسة عشر كتابًا، تعدّ كلّها مراجع علميَّة وبحثيَّة، ليس في لبنان والعالم العربيّ فحسب، بل في أوروبا أيضًا.

أسَّس خليفة مكتبته مذ كان في المرحلة الابتدائيَّة. كان والده آنذاك يعطيه المال (نصف ليرة أو ثلاثة أرباع الليرة)، فيذهب برفقة شقيقه إلى بيروت، وتحديدًا إلى ساحة البرج، ويشتري الكتب «العتيقة» من أمام «الروكس». اليوم،

تحوي مكتبته أكثر من أربعين ألف كتاب، إلى جانب خمسة ملايين وثيقة ومخطوطة تقريبًا، تتمحور موضوعاتها حول تاريخ لبنان القديم والوسيط والحديث والمعاصر، تاريخ سوريا ومصر وأوروبا، الاقتصاد، الجغرافيا، والجيوبوليتيك، ولكنّ الكتب في غالبيتها تعتني بالتاريخ العثماني في القرون الثلاث؛ السادس والسابع والثامن عشر. كما أنَّ مكتبته تحفل بموسوعات عن الأدب والشعر والروايات والفلسفة وعلم الاجتماع والديموغرافيا.

لا يزال إلى اليوم شغوفًا في الحصول على المخطوطات التاريخيَّة. يشتري القديمة منها من أشخاص لا يعرفون قيمتها العلميّة، وتكلّفه أقلّ واحدة منها نحو ألفي دولار، سواء حصل عليها من لبنان أو خارجه. من إسطنبول إلى باريس، كان يحصل عليها أو يصوّرها، وهو يمتلك مئات الآلاف منها على ميكروفيلم، فضلًا عن وثائق كثيرة تدور موضوعاتها حول الأديار والمحاكم الشّرعية والمؤسَّسات التاريخية في لبنان. ومنذ فترة قريبة، حصل على وثائق جديدة. يقول خليفة في هذا المجال: «البحث في ملفّات التأريخ عمل لا ينتهي أبدًا».

يعدّ الدكتور خليفة نفسه من مدرسة جديدة في دراسة التاريخ، أهم عناصرها عدم الاقتصار في الأبحاث على الجانب السياسي والعسكري، بل الاهتمام بالديموغرافيا والحضارة المادية أيضًا. «هذه المسائل لا يهتمون بها في لبنان، فضلًا عن التاريخ الاجتماعي والتربوي والثقافي»، يضيف.

ويتابع شارحًا: «أقوم حاليًا بوضع غرافيك ومنحنيات وجداول حول إحدى الوثائق العثمانيّة، وأعمل على تحليلها وقراءتها ديموغرافيًا. مثلًا، أعدّ الأسماء، وأحلّل تركيبها، هل هي أسماء دينية؟ وما هو هذا الدين؟ هل هو عهد جديد؟ كما أبحث في المهن أو الحرف، وفي أسماء الحيوان.. هذا البحث متعب. عملت أيضًا، على سبيل المثال، في مجال الأوقاف؛ أوقاف مدينة بعلبك وقراها، ودرست ماهيتها، فهناك مثلًا أوقاف للمساجد، وأوقاف تربوية، وأخرى عسكرية لدعم القلاع...».

رحلة طويلة عاشها أستاذ التأريخ عصام خليفة، ولا يزال، مع أرشيف الدولتين الفرنسية والعثمانية تحديدًا. أتقن اللغة العثمانية التي تختلف عن اللغة التركية الحديثة، أي الحرف اللاتيني، ما سمح له بالولوج إلى هذا الأرشيف، فبدأ أبحاثه في الديموغرافيا، التي تعني معرفة البلدات والمناطق، عدد سكانها، أسمائهم، نتاجها الزراعي وغيره. وبعد جهد مضنٍ استمرَّ لسنوات، تمكّن من الانتهاء من كتاب «أطلس لكلّ لبنان».

يقول خليفة: «هذا الأطلس لكلّ لبنان في القرن السادس عشر. ركّزت فيه على إحصاءات عثمانيَّة. كانت الإحصاءات تتمّ من خلال أسماء الرجال الناضجين، والإنتاج، والضّرائب، والوضع الاقتصاديّ. وقد اطلعت على «مهمّة دفتري»، وهي الأحداث السياسيَّة والعسكريَّة والتّنظيمات الإداريّة، وبدأت أبحاثي في هذا المجال».

يقول عن عمله في مجال الديموغرافيا التاريخيَّة، إنّ هذا العلم جديد، ارتكز فيه على الإحصاءات العثمانية، فاستطاع أن يتعرّف إلى المناطق كلها، بما فيها طوائفها، من الشمال إلى الجنوب. ويضيف: «لم يكن للبنان وجود آنذاك. كانت هناك ولايات؛ طرابلس وصيدا ودمشق. هذا التقسيم أوجد خصوصيّة لجبل لبنان، وخصوصًا مع المعنيين، بدأت تتسّع لاحقًا مع الشهابيين في زمن المتصرفية، حين وُضع البروتوكول، وأصبح هناك اتفاقات دولية منحت لبنان «شخصيّته»».

وينفي خليفة ما يطرحه البعض من اضطهاد المسيحيين في القرن السادس عشر، مشيرًا إلى أنّ وجودهم اتّسع آنذاك، حيث كانوا يتواجدون من الشمال حتى خطّ بكفيا المتن الشمالي... ثم توسّع، ووصل إلى الجنوب، إلى القليعة ورميش، وإلى البقاع الأوسط والشمالي (رأس بعلبك والقاع والفرزل)، ومن ثم توسّعوا جنوبًا، حيث كانت تلك المناطق تشهد حركات ديموغرافية للشيعة.

جدليات تاريخية بنظرة مغايرة

ولكنّ المسيحيين، يضيف خليفة، واجهوا مصاعب في القرن السابع

والثامن والتاسع عشر في ظل «نظام الالتزام»، فبرز الظلم الاقتصادي والضرائب والاقتتال، ونشأت الإمبراطورية العثمانية. وفي القرن التاسع عشر، بدأ العمل على إشعال الصراعات والفتن الطائفية، وكان واضحًا التدخل الأوروبي والإنكليزي والفرنسي إلى جانب الطوائف في الداخل، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الصراعات الداخلية.

رغم ذلك، فإن لبنان كان حصن الحريات في الشرق في الحقبة العثمانية، إذ كانت أول مطبعة في العالم العربي فيه (مطبعة قزحيا سنة 1587)، إضافة إلى الدور الذي أدّته الإرساليات التبشيرية الغربية، ومبادرتها إلى تأسيس المدارس، التي كانت تباشيرها في روما سنة 1584، حين خرّجت طلائع الموارنة الذين بدأوا يطوّرون الكنيسة، وينقلون الأساليب العلمية والتربوية إلى جبل لبنان، بعدما افتتحوا فيه المدارس. ولا تزال بعض المؤسسات التربوية شاهدة حتى اليوم على تلك الحقبة، من مثل الجامعة الأميركية في بيروت والجامعة اليسوعية، اللتين تنافس فيهما البروتستانت والكاثوليك. وقد زادت مدارس الإرساليات، ودخلت المرأة سلك التعليم. وكانت أول مدرسة تستقبل الإناث هي «المدرسة الوطنيّة» لبطرس البستاني في العام 1834. كما بدأ حضور المجلات والصِّحافة يبرز في القرن التاسع عشر.

ويضيف: «كلّ هذه العوامل جعلت لبنان في طليعة بلدان المنطقة العربية آنذاك. ولم تقف المسألة عند حدوده، بل ذهبت جماعة النهضة (جرجي زيدان، وأمين الهلال، ويوسف الخازن، وغيرهم كثر)، إلى مصر، حيث شكلوا النهضة العربية. الأمر نفسه حصل مع شيعة جبل عامل، الذين انفتحوا على إيران وأدّوا دورًا في النهضة..

رحلة طويلة عاشها المؤرخ خليفة، ولا يزال، مع أرشيف الدولتين الفرنسية والعثمانية تحديدًا، كما اشتغل بالأرشيفات المحليّة كلها، وجمع كمًّا كبيرًا من الكتب والوثائق، ولا يزال شغوفًا في الحصول على المخطوطات التاريخيَّة.

ومع السنّة الَّذين ذهبوا إلى الأزهر، فكان الشيخ رشيد رضا أحد أشهر الأعلام».

هذا الأمر يدلّ، في رأي خليفة، على أنّ أبناء الطوائف في جبل لبنان، كانوا يتعايشون معًا في أجواء من الألفة، ويتشاركون أدوار النهضة، ويمارسون حرياتهم، ويتآخون مع بعضهم البعض. وفي ظل الألفة السائدة، كانت بعض العائلات تعتنق دين البيئة الموجودة فيها، من دون ترهيب أو تعنيف، وكانت تتكيّف مع محيطها الديني والاجتماعي.

من جهةٍ ثانية، كان للإرساليّات التبشيريَّة الغربيَّة دور في لعبة التجاذات الطائفية والفتن في ربوع جبل لبنان. لا ينفي الدكتور خليفة الدور السلبي لتلك الإرساليات ومدارسها، الَّتي بدأت تنتشر قبل القرن الثامن عشر. يقال إنّها بدأت في إضعاف الدولة العثمانية من خلال إثارة النعرات الطائفية، وهذا هو المنحى السلبي في تواجدها. لم يرسل الغرب إرساليّاته من دون أن تكون مترافقة ومصالحه الاستعمارية والاقتصادية؛ فالفرنسي يبحث في كيفيَّة تأصيل وجوده التّجاريّ، وللإيطالي والإنكليزي والأميركي والروسي مصالحه أيضًا. من هنا، كان تعليم اللغات وما يلحق بها من علوم مختلفة وحديثة جدًا في تلك الحقب التاريخية، ولكن الإمبراطورية العثمانيَّة كانت بعيدة عنها.

يرى خليفة أنّ هذا الأمر طبيعيّ، ويعترف به، ولكنّه يرفض التوقف دومًا عنده، بل يتجاوزه إلى ما هو أبعد من ذلك. ويقصد به التثاقف الغربي – الشرقي الَّذي أسس لنهضة كبرى في جبل لبنان تحديدًا، وجعل من لبنان منارةً للشرق. ويقول: «ترجم أجدادنا تلك الثقافات، وأنشأوا جسرًا تواصليًا ثقافيًا. من هنا، كان التفاعل كبيرًا بين الغرب والشرق».

خصوصية لبنان الجيوبوليتيكيَّة

يرى خليفة أنّ للبنان خصوصيَّته منذ الحقبة العثمانية. ففي مرحلة الإمارة، كان ثمّة نوع من الوراثة، حيث كان آل معن وآل شهاب يلتزمون جمع الضرائب أبًا عن جدّ. ومع ضعف الدولة، تكرَّست اللامركزية. هنا، أصبح الأمير بشير الشهابيّ حاكمًا محليًا يمتلك استقلالًا ذاتيًا، كما أنّ علاقته بالغرب ساعدته على تقوية دينامية المجتمع وثقافته، فنشطت المدارس والصِّحافة والطّباعة. وهنا أيضًا، في رأي خليفة، تكمن عقدة المسألة الشرقيَّة، فإذا كانت سوريا مفتاح آسيا، فإنّ لبنان هو مفتاح سوريا، الَّذي يمكن من خلاله الدخول إلى المنطقة.

ويتابع: «يعرف الغرب أهميَّة لبنان الجيوبوليتيكيَّة. وليس صدفةً أنَّ العثمانيين ضغطوا على لبنان في الحرب العالمية الأولى، من خلال المجاعة، للقضاء عليه، لكي لا تقوم فيه ثورة ضدهم، فشنَّوا حصارًا بريًا عليه، فيما شنّ الغرب حصارًا بحريًا، حتى وقعت المجاعة (إضافةً إلى أسباب أخرى)».

لم يكن ممكنًا للإمبراطورية كلّ ذلك التقدّم، وهي على أبواب فيينا في عهد سليمان القانوني، بعدما صارت تتقهقر، وبخاصة بعد صعود نظام «الالتزام». ولهذا النظام حكاية كبرى يسردها لنا المؤرخ خليفة، إذ يقول إنّ فرسان الدولة كانوا يباشرون بأنفسهم في القرن السادس عشر مهامّ تنظيم المجتمعات. فارس عثماني مثلًا، كان يدير قرية يونين البقاعية، فيجمع الضرائب، وينظّم العسكر فيها خلال الحروب، ويمسك بزمام كلّ الأمور ومجرياتها. وعندما بدأت الإمبراطوريَّة تضعف، أخذت تكلّف أحد أبناء البلدة أو المنطقة، كابن حمادة في الهرمل مثلًا، ليكون وكيلًا لجمع الضّرائب (كان يجمع مثلًا 400، فيعطي الدولة 100، ويستولي على ما تبقى)، فاشتدّ الظلم على الناس. بالطبع، كان الغرب يدير مصالحه في الإمبراطورية، ويكرّس الضعف، من خلال ربط كل طائفة بكنيسته التي تدعم فرنسا أو أميركا أو روسيا أو إيطاليا. وبذلك، بدأ الحسّ الوطني والارتباط بالهوية العربية والإسلامية يتضاءل، فتمّ ربط الموارنة بروما، وأدخِل السريان ضمن التقاليد اللاتينية، كذلك الأمر مع الروم الكاثوليك وغيرهم، وراح الصراع بين الكنائس والطوائف يتشكّل..

وفي الوقت نفسه، كانت الإمبراطورية العثمانية تمارس ظلمًا من نوع آخر على الناس. وهنا، كان «مضرب تخلّفنا»، فقد بلغ حينٌ من الزمن،

كان حاكمُ مصر يجبر كلَّ مسيحيّ على وضع صليب خشبي على رأسه، ليبقى منحنيًا، ثم جاء السلطان سليم وأقدم على الهجوم على الصفويين في كلدران سنة 1514، وعلى بلاد الشام بعد معركة مرج دابق، فأتى على الشيعة والعلوييين معًا، وفُرِض على الناس يومذاك مذهبٌ واحد لا مفر لهم منه، فكان الاضطهاد والقمع كبيرًا، وأُسِّست الملل، وفُرِض نظام الجزية بعد ذلك، وأُجبر الجميع على الرضوخ.

كان هناك الكثير من المسيحيين في سوريا (القلمون حتى دير عطية). يقول المؤرخ خليفة إنّ لديه أسماءهم، ولكنّ ديموغرافية المنطقة بدأت تتغيَّر رويدًا رويدًا، لأسباب عديدة، منها أسباب داخلية. ويروي أن الشخص الذي لم يستطع دفع الجزية، كان يعتنق الإسلام. وفي الآن ذاته، كان هناك استنزاف ديموغرافي للمسلمين في الحروب، إذ أضحى عدد المسيحيين كبيرًا، فيما قلّ عدد المسلمين.

للمؤرخ خليفة مؤلفات عديدة تدور موضوعاتها حول الجيوبوليتيك والسياسة الجغرافية المتعلّقة بالحدود بين الدول. وكان لهزيمة حرب حزيران في العام 67، أثر كبير في توجيه بعض مسارات البحث التاريخي لديه، فعكف على قراءة تاريخ «إسرائيل» والحركة الصهيونيّة، وتبيّنت له أطماعها بلبنان منذ ذلك التاريخ، فألّف أحد عشر كتابًا في هذا الموضوع، تمحورت حول الحدود والمياه، وتناولت موضوعين أساسيين؛ لبنان والمنطقة العربية، والحدود اللبنانية – السّورية. وكانت له صولات وجولات في مزارع شبعا، بعد أن كلّفه مجلس الوزراء بدراسة الموضوع، فقدم تقريرًا من ثمانين صفحة، مع زميلين آخرين، استعان فيه بالأرشيف الفرنسي، ليثبت أخيرًا لبنانية المزارع.

زينب الطّحان: أستاذة جامعيّة وكاتبة وصحافيّة لبنانية. تخصّصت في النّقد الأدبي والسّرد الروائيّ، وأعدّت أطروحة دكتوراه حول الهجرة والهوية في رواية "بدايات" لأمين معلوف. صدر لها كتابان عن الأدب ما بعد الكولونيالي.

للتّواصل عبر الإيميل: riza_zein@hotmail.com

ديوان الذاكرة

أرشيف مركز الإسكندريَّة
حلم يبحث عن الاكتمال

أحمد مدحت

قابلتُه للمرَّة الأولى في «معرض الإسكندرية الدولي للكتاب». أسمر البشرة، طويل القامة نسبيًا، ذو شارب خطّه الشيب، كما شعر رأسه. كلّ هذا في إطار ملامح مصريَّة أصيلة. هو الأستاذ عصام أبو الحمد، حارس الأرشيف. كان جالسًا أمام جهاز الكمبيوتر الخاصّ به. يجلس على يمينه أحد طلّاب الماجستير، في انتظار نقل الملفّ الخاصّ بأرشيف الأديب المصري طه حسين إلى «فلاش ميموري» أحضرها معه.

عرّفته بنفسي، واتَّفقنا على أن نلتقي بعد انتهاء معرض الكتاب في الإسكندريَّة. في هذه الأثناء، حضر إليه كاتبٌ عراقي، صدر له منذ شهور كتاب نقديّ عن سيرة الكاتب الكبير سلامة موسى وأعماله. صافحه بحرارة، وهو يذكّره بزيارته له منذ قرابة عامين، للحصول على أرشيف موسى، ليساعده على إصدار كتابه الَّذي بين يديه الآن. أهداه نسخةً موقّعةً من الكتاب. وفي الصَّفحة الأولى نصُّ الإهداء:

«إلى الأستاذ عصام أبو الحمد ومركز الإسكندريَّة للبحوث والدراسات.. لولا مساعدتكم لي، ما أنجزتُ هذا الكتاب».

وفي عيني المؤلّف لمحتُ امتنانًا لا يُكذَّب للأستاذ أبو الحمد ومشروعه.. فكان لا بدَّ من الزيارة.

زيارة إلى الأرشيف!

داخل حيّ «الحضرة الجديدة» ذي الطّابع الشّعبيّ في الإسكندريَّة، سيكون عليك أن تتوغَّل قليلًا في شارع «الزهور»، لتصل إلى شارع «عبد العليم». وهناك، ستصعد إلى الطابق الثالث في المبنى الذي يقع فيه «مركز الإسكندرية

للبحوث والدّراسات»، وما هو في الواقع إلا شقَّة ذات أثاث بسيط، يستقبلك فيها أبو الحمد، ليدخلك إلى عالمه؛ عالم أرشيف الدوريات، عالمه الَّذي أصبح جزءًا منه، كشغف أصيل لا ينتهي!

وبينما كان يقلّب في ملفّات الأرشيف، كأنه يداعب قطعًا نادرةً من الأثريات، بدأ يروي قصَّة المركز ويجيب عن أسئلتي.

يحكي أبو الحمد عن متابعته لأبيه في صباه، عندما كان يقصّ المقالات والموضوعات من المجلات والدّوريات المختلفة، ويقوم بوضعها بين صفحات الكتب التي يقرأها؛ كلّ مقالة أو بحث في الكتاب ذي الموضوع المتعلّق بمحتوى القصاصة، لتكتمل المعلومة والعرض أمام عينيه كقارئ. من هنا، تشكّل الوعي لديه بأهميَّة أرشفة الدوريات الَّتي غفل معظم الناس عنها، ولم يمنحوها الجدّية نفسها التي نالتها أرشفة الكتب والوثائق.

من هنا أيضًا، ومنذ 15 عامًا، قرَّر عصام أبو الحمد، بالتعاون مع صديقه الدكتور سيد الطنوبي؛ أستاذ التاريخ في جامعة الإسكندرية، تأسيس مشروعهما، من خلال نواة الأرشيف الَّتي كان الأخير يمتكلها، بحكم كونه قارئًا نهمًا وأستاذًا للتاريخ، وعمل أبو الحمد، بصفته تاجر كتب أساسًا، في سوق الكتب القديمة في شارع «النبي دانيال» في الإسكندريَّة، فطبيعة عمله هي التي ساعدته، ولا زالت، على تحديث الأرشيف، من خلال شراء الدوريات من كلِّ مكان داخل مصر، وخارجها أيضًا في بعض الأحيان.

أرشفة يدوية ورقمية

تقوم فكرة المشروع على أرشفة الدّوريات العربيّة والأجنبيَّة، من خلال تقسيمها إلى ثلاث فئات رئيسيَّة: «موضوعات»، «بلدان»، و«كُتّاب». يحتوي الجزء الخاصّ بالكُتّاب ما كتبه الكاتب في الدّوريات، وما كُتب عنه، أو ما جاء ردًا عليه من كاتب آخر.

يقوم صاحبا المشروع بالحصول على الدَّوريات من خلال شرائها، فذلك هو سبيلهما الوحيد للحصول على المادة التي يقومان بأرشفتها وفقًا للتقسيم السابق، الذي نتج منه تقسيم داخلي في أرشفة بعض الموضوعات التي بدأ يتوفّر لديهما فيها مادة من الدوريات تسمح بهذا التقسيم داخل الموضوعات الرئيسية للأرشيف.

يحتوي أرشيف المركز ملفّات لمواضيع من مثل التصوّف، الاستشراق، الحضارة الإسلامية، الأندلسيات، والحضارة اليونانية، وأخرى عن بلدان من مثل البحرين، السعودية، الإمارات، والأردن. وفيه أيضًا ملفات تتعلّق بشخصيات عامة وكُتّاب ومفكّرين، من مثل الأديب نجيب محفوظ، صنع الله إبراهيم، عبد الرحمن بدوي، عبد الرحمن الكواكبي، وعبد الوهاب المسيري.

كلّ هذا الأرشيف الضخم كان حصيلة مقالات تمّ جمعها من صحف ومجلات بعضها توقّف عن الصدور منذ سنوات، من مثل جريدة الوفاق، مجلة نور الإسلام، الأعداد القديمة من مجلة الهلال في إصدارها الأول. وتجري الأرشفة بشكل دوريّ متزايد، كلَّما حصلا على المزيد من الدوريات العربيَّة والأجنبيَّة، أي أنها عمليَّة مستمرّة تخضع للتحديث بشكل دائم.

يقوم صاحبا المشروع بالأرشفة الرقميَّة للموضوعات تباعًا، لإتاحتها من خلال «سي دي» أو «فلاش ميموري» لمن يحتاج إليها، وذلك في مقابل بدلٍ ماديٍّ بسيط يسدّده الباحثون المتخصّصون أو القُرّاء الراغبون في الاستزادة الثقافية، الذي يزورون المركز في مقرّه، أو من خلال معرضي القاهرة والإسكندرية للكتاب، اللذين يُنظَّمان كلّ عام في مصر، ويحرص أبو الحمد على أن يكون مشاركًا فيهما بصحبة أرشيفه.

الحصول على أرشيف الكتب الخاص بموضوع معيَّن، أو بلد، أو كاتب، أو شخصية عامّة، مهمّة سهلة نسبيًا، إذا ما قارناها بمحاولة الحصول

على أرشيف الدوريات الخاصّ بالموضوع نفسه، ذلك أنَّ الدوريات العربية التي قامت بأرشفة أعدادها، اعتمدت في عملية الأرشفة على حفظ عدد معيَّن من الأعداد الصّادرة خلال مدَّة زمنيَّة محدّدة، من دون وجود أيِّ تقسيم لموضوعات هذه الأعداد، ما يجعل مهمَّة البحث صعبة للغاية على الباحث، على عكس ما قامت عليه فكرة مشروع «مركز الإسكندرية للبحوث والدراسات»، الَّذي يُسهِّل الأمور كثيرًا على الباحث، ويجعل تركيزه منصبًا على الدراسة والاستنتاج والإبداع، بدلًا من إهدار جهده ووقته في المزيد من البحث عن المواد التي تفيده في عمله.

كذلك، فإنَّ أرشفة الكتابات من خلال الدوريات المختلفة تساعد على دراسة التطوّر الفكري والفنيّ للكاتب، ولمحيطه الفكري والثقافي في ذلك الوقت، من خلال رصد المعارك الأدبية والثقافية الدائرة في كلّ فترة مثلًا، بشكل لا تسمح به الكتب ربما، فهو حفظ لتراث الكتّاب والباحثين، بشكل لا يقلّ أهميَّة في واقع الأمر عن حفظ تراثهم من الكتب.

فكرة مؤسَّسات.. على عاتق أفراد

على الرغم من النّجاح الَّذي حقّقه المركز حتى اليوم بأبسط الإمكانيات، الَّتي تكاد تكون معدومة أحيانًا، ووصول عدد المقالات التي يحويها الأرشيف إلى أكثر من نصف مليون مقالة، مُسِحَ ضوئيًا منها أكثر من 100 ألف مقالة، متاحة للباحث أو القارئ، فإنَّ أبو الحمد يؤكّد دومًا أنَّ المشروع الذي يعمل عليه برفقة شريكه الدكتور الطنوبي، ليس مشروعًا يتحمّله أفراد، نظرًا إلى التكلفة المادية الكبيرة التي يتحملانها لجلب الدوريات،

يبلغ عدد المقالات الَّتي يحويها أرشيف المركز أكثر من نصف مليون مقالة متاحة للباحثين والطّلاب، مُسِحَ أكثر من 100 ألف منها ضوئيًا. كَلّ ذلك بجهود فرديَّة بسيطة وإمكانيات ماديَّة متواضعة.

وخصوصًا النادر والقديم منها، فمصدر الدخل الوحيد الحالي هو الأجر الرمزي البسيط الذي يتلقيانه من الباحثين، نظير إمدادهم بما يرغبون من أرشيف في الموضوعات المختلفة، إضافةً إلى أنَّ اعتماد المشروع على جهد مؤسِّسيْه فقط، يجعل من وتيرة العمل بطيئة نسبيًا، نظرًا إلى محدودية قدراتهما بطبيعة الحال.. هذه فكرة مؤسسات بالدرجة الأولى. لذا، بحث صاحبا المشروع طويلًا، ولا يزالان، عن جهة راعية لمشروعهما، وكان اختيارهما الأول هو الجامعات، لأنَّ هدف المشروع يخدم البحث العلميّ في المقام الأول، لكنَّ جهودهما لم تسفر حتى الآن عن أيّ نتيجة في سعيهما للحصول على دعم من المجلس الأعلى للجامعات المصرية، ليتبنّى المشروع، كما كانا يحلمان دومًا، ليصبح تحت إدارة الجامعة، بمنهجيتها الأكثر انضباطًا، وإمكانياتها، وقدرتها على تقديمه بالشكل الأمثل للمستفيدين.

حاول أبو الحمد أيضًا عرض المشروع على إدارة «مكتبة الإسكندريّة»، كي تتبناه ويندرج تحت إشرافها، إلا أنَّ سعيه قوبل بالرفض أيضًا، وكان السَّبب أنَّ صاحبي المشروع قاما بالتوثيق الداخلي لمواد الأرشيف من خلال تدوين اسم الدورية، وتاريخ صدورها، والبلد الصَّادرة فيه، أسفل الصّفحة في كلّ مقالة أو في أعلاها، وذلك لأنَّ الدوريات العربية تكتفي بالتوثيق الخارجيّ على الغلاف، ولا يوجد توثيق داخليّ سوى في أعداد مجلة «العربي» الكويتيَّة، فكان لا بدَّ من القيام بهذا التوثيق الضروري للباحث، لكنَّ إدارة المكتبة رأت في هذا الأمر سببًا كافيًا لرفض دعم المشروع.

يحكي أبو الحمد أيضًا عن كلّ الصعوبات التي يواجهها في سبيل الحصول على دعم لمشروعه، ثم يعلّق ضاحكًا بمرارة: «لو كانت عيوني زرقاء، أو لو كنت أحمل إحدى الجنسيات الأجنبية، لنظروا إلى الفكرة بشكل أفضل بكثير. زامر الحيّ لا يطرب للأسف!».

ويستمرّ الحلم!

في خضمِّ كلِّ هذا التجاهل، لا يزال أبو الحمد مستمرًا في عمله كتاجر للكتب في شارع «النبي دانيال»، إلى جانب عمله في مشروع مركز الأرشفة. السّبب الرئيس لاستمراره، أنّ عمله الأخير هو ما يوفّر له دخلًا ينفق من خلاله على مشروع الأرشيف، كما أنَّ تجارة الكتب هي صنعة أبيه الَّتي ورثها عنه.

قبيل انتهاء حواري معه، وأثناء تصفّحي لبعض ملفّات الأرشيف، وجدتُ مقالاتٍ ومواضيعَ لم أتخيَّل أنها موجودة من الأساس، لندرتها! ففي أحد أجزاء أرشيف الكاتب الكبير عباس العقّاد، مثلًا، وجدت موضوعًا لبثينة عباس العقّاد، في مجلة «الإثنين»، ضمن عددها الصادر في العام 1950، كتبته عن أبيها في حياته، وهو الَّذي لم يُعرف عنه أنَّه تزوّج أو أنجب من الأساس! واللافت أنَّ العقّاد لم يردّ بالكتابة لنفي هذا الموضوع.

عندما سألتُ أبو الحمد مستغربًا، والدهشة تغطّي ملامحي، أجاب مبتسمًا بأنها ابنة العقاد، ولكنّه لم يعترف بها في حياته، وانتحرت في منتصف الثلاثينيات من عمرها، وتُعدّ هذه المقالة تقريبًا هي الدليل الوحيد على وجودها.

آلاف المقالات النّادرة والمهمّة في مئات المواضيع الحيويَّة، ولا يزال صاحبا المشروع مستمرين في جهدهما، لإحساسهما بأنهما يتركان شيئًا للمستقبل، كأثرٍ طيّبٍ ونواةِ فكرةٍ لا بدَّ من أن تكتمل، على الرغم من أنَّها لم تجد أيَّ دعمٍ فعليٍّ حتى الآن.

أحمد مدحت: صحافي مصريّ ومدوّن في موقع "هافنغتون بوست". حاز إجازة في التجارة من جامعة الإسكندرية. يكتب في عدة صحف لبنانيَّة ومصريَّة.

للتَّواصل عبر الإيميل: popular_reader@hotmail.com

منظّمة "أمم" للأبحاث والتوثيق.. ديوان للذّاكرة اللبنانيَّة

حسن زراقط

يشغّل لقمان سليم حاسوبه النقال. وفي عملية بحث بسيطة، يلج إلى «ديوان الذاكرة اللبنانية». هنا يقع «دليل اللبنانيين إلى السلم والحرب». يخوض في حقل معجمي من مفردات الخطف والقتل والعنف، فتظهر جملة من العناوين تدور جميعها مدار الحرب ومخلفاتها، وتتيح الوصول إلى آلاف المقالات والمعطيات والبيانات التي تستهدف توثيق ظروفها، مقدماتها، بداياتها، نهاياتها، وأشكالها.

«لا نخشى نبش القبور ولا النوم في المقابر. لا شيء يمرّ ويُنسى»، يقول سليم الذي يرأس منظمة «أمم» للأبحاث والتوثيق، المختصة بجمع كلّ ما يتعلق بالذاكرة في لبنان، مثل الحرب الأهلية اللبنانية والمفقودين فيها، وتوثيقه وأرشفته، ومن ثم إتاحته.

أطلقت «أمم» موقع «ديوان الذاكرة اللبنانية» في العام 2008، تزامنًا مع إطلاقها مشروعًا يحمل عنوان «ما العمل؟ لبنان وذاكرته حمالة الحروب»، بهدف توثيق نشاطاتها. حُجبَ الموقع فترة عامين، ثم عاد «بفلسفة معدّلة تجعل منه مشروعًا مفتوحًا على وظائف واستعمالات وآفاق شتى، تتجه جميعًا وجهة واحدة، هي نقد الحرب»، ويجري العمل على تطويره ليصبح اسمه قريبًا «ذاكرة لبنان».

«أمم» نفسها انطلقت كذلك من فكرة قائمة على الحرب. ولدت المنظمة من مشروع فيلم أخرجه سليم وزوجته مونيكا بورغمان (ألمانية الجنسية)، عنوانه «مَقَاتل» (جمع مقتل)، حاولا فيه مقاربة مجزرة صبرا وشاتيلا بشكل

مختلف، من خلال استنطاق «القتلة اليدويين لا الآمرين، أي المنفذين».

كان الهدف من الفيلم تسليط الضوء على فكرة العنف الجماعي والفردي، يوضح سليم. وهنا، كان لا بدَّ في أحيان كثيرة من التدقيق في الشَّهادات، ما فتح عينيه على عدم وجود ذاكرة للحرب أو مرفق مفتوح يمكن التوجه إليه للاطلاع على وثائق على علاقة بها، سواء كانت مطبوعات، أو كتبًا، أو صحفًا، فعندما نتحدث عن مرحلة عنف، ينبغي أن نعرف ما سبقها وما تلاها.

خزانة أرشيفية

يقول سليم: «عمليًا، عندما نتحدث عن حرب، فنحن نتحدث عن مقدماتها وخواتيمها. من هنا انطلقت الفكرة». لم يكن الهدف من «أمم» منافسة المؤسسات الأكاديمية أو أجهزة الأمن، بل إنشاء خزانة مواطنية تضم ما تيسَّر من وثائق، وتكون مفتوحة أمام الاستعمال العام.

يعرِّف هذه الخزانة أو الأرشيف على أنه «أرشيف مواطني»، لم يكن الهدف منه إقفال النقاش فيما جرى، بل فتح النقاش حوله، «فلا يحق لأحد أن يصادر الماضي، فهو الذي يصنع الحاضر. ولأننا مواطنون، ولنا حق التدخل في الحاضر، فلنا أيضًا حق التنقيب في الماضي ومحاولة فهم ما جرى. وفي النهاية، لن تكون هناك رواية واحدة، وأي محاولة لفرض رواية واحدة هي مشروع توتاليتاري».

للبحث في التاريخ، يقول سليم، «نحتاج إلى أدوات»، أولها هو «الأرشيف»، أي «المستمسكات، فعندما تكون هناك قضية أمام محكمة، يقولون إن ثمّة ملفًا (للنظر فيه)، ونحن نحاول أن نكون جزءًا من ملف يعنى بتاريخ هذا البلد؛ ولا سيما تاريخه العنفي». يردف سليم قائلًا: «أول الأشياء التي يفكر المرء فيها هو الصحيفة أو الكتاب أو المنشور، مما نسميه «الأدب الرمادي». هذا النوع من المطبوعات والمنشورات التي لا تدخل السوق. فهل سمع أحدٌ ما يومًا بصدور طبعة ثانية من دعوة إلى احتفال حزبي؟».

ما يسميه سليم «الأدب الرمادي» يرى أنه «يساوي صفرًا»، لأنه «ينتج في مناسبة معينة وينتهي مفعوله مع انتهائها». تحاول «أمم» جمع كل المنشورات و«البوسترات» وغيرها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فهناك ما لا يحتويه كتاب، وهو المخبوء في الصدور والعقول والذاكرة، كما أن العمل الأرشيفي يشمل أيضًا صناعة الوثائق من خلال توثيق شهادات حية.

أولوية حفظ الوثائق

في المرحلة الثانية، يأتي حفظ هذه الوثائق، «فأنْ تجمع من دون أن تحفظ، كأنك تردّد نصف تَشَهُّد». هكذا يشخص سليم أهمية الحفظ، وهو لا يدَّعي أن «أمم» تنتقنه أو تمتلك أدواته، ولكنها تحاول حفظ الذاكرة قدر الإمكان ضمن الإمكانيات المتاحة، نظرًا إلى تكلفة الحفظ المادية. وبعد الحفظ، تبرز حاجة ملحّة، تتمثل باستعادة المواد المحفوظة.

يؤكد سليم أننا نمارس عمل الاسترجاع باستمرار من دون أن نشعر، فعندما نستخدم محركات البحث، نقوم باستعادة ما في ذاكرتها من معلومات في خضمّ هذا «الداتا» أو «الأصول الأرشيفية». هذا العمل يتحول إلى وصف للوثائق.

سعت «أمم» إلى أن تنطلق في صيغة تقربها إلى الناس، انطلاقًا من حرصها على التفاعل معهم، من خلال النشاطات المفتوحة وعروض الأفلام والندوات التي تتناول مواضيع ذات صلة بالماضي والحاضر، وتحديدًا مثلث «الماضي - الحاضر – العنف». إلى جانب ذلك، ولأن العمل يستند إلى «داتا» أو قاعدة بيانات، فقد اتخذ صيغة أخرى منذ العام 2010، من خلال موقع «ديوان الذاكرة اللبنانية»، المعنيّ بقضية المفقودين في لبنان.

يقول سليم في هذا المجال: «نحن نتحدث عن موضوع المفقودين (يوجد في لبنان حوالى 17 ألف مفقود)، من خلال عدد من المؤتمرات والندوات. هذا العمل قائم على التوثيق. وعندما نتحدَّث عن المفقودين، نربط الموضوع بالمقابر الجماعية الذي عملنا عليه، وأعددنا خريطة قد تكون الأولى من نوعها، وهي مبنية على مصادر مفتوحة عن مكان وجود مقابر جماعية في لبنان».

يتألَّف الموقع، وفقًا لسليم، من حوالى عشرة أقسام تقارب العمل التوثيقي، من خلال عناوين محددة. مثلًا، يوجد فيه أكبر مجموعة مقالات مرتبة موضوعيًا وزمنيًا عن المحكمة العسكرية في لبنان، منذ نشأتها في العام 1920 إلى اليوم. وتقوم «أمم»، جزئيًا، بإعادة تدوير الأرشيف، من خلال المشاريع البحثية التي تقوم بها. وفي النهاية، كل ما تقوم به من عمل بحثي يكون في تصرف الناس، من خلال الموقع الذي يضم حوالى 30 ألف وثيقة، موزعة ضمن حوالى 12 موضوعًا. وفي ظل الإمكانات المتاحة، لم تجرِ مراجعة هذه المواد، غير أن المنظمة ترفق كل وثيقة بكلمة مفتاحية للبحث، وتراجع حاليًا كل ما تم إنجازه وتربطه بكلمات مفتاحية.

كذلك، تعمل «أمم» على إنجاز نسخة معدلة من هذا الموقع، ستصبح متقدمة في غضون شهر على مستوى الإخراج والبحث، وسيصبح شكله أوضح وأكثر ترتيبًا، وسيكون «صديقًا» لوسائل التواصل الاجتماعي، من خلال مشاركة الأخبار والتفاعل معها.

نقطة «التحول»

شهدت «أمم» نقطة تحوّل جعلتها مقصدًا للباحثين.

تجمع "أمم" كلّ ما يتعلَّق بالذاكرة في لبنان، مثل الحرب الأهلية اللبنانيَّة والمفقودين فيها، وتقوم بحفظه وتوثيقه، ومن ثمَّ إتاحته، وتعمل حاليًا على إنجاز مشروع توثيقي عن اللجوء في لبنان في إطاره العام.

هنا، يتحدَّث سليم عن أمرٍ أساسي جدًا، هو أن المنظَّمة تحاول أن تعتمد أعلى معايير الموضوعية، وتبتعد عن خلط مواقفها السياسية في عملها. ويتحدَّث أيضًا عن الشفافية، موضحًا أن «لا محاسبة في الحاضر من دون محاسبة الماضي. الفضل يعرفه ذووه. لقد استطعنا، من خلال بعض الدعم الدنماركي، رقمنة كثير من الوثائق ووضعها في التصرف العام».

لا تعيش «أمم» بعيدًا عن الناس. يشرح سليم فكرته قائلًا: «لدينا إمكانيات للتواصل مع مصادر أرشيفية في لبنان لا يصل إليها الآخرون بسبب جغرافيا الوهم في لبنان، فسكان منطقة الحمراء (قرب وسط بيروت) قد ينتابهم القلق من المجيء إلى الضاحية الجنوبية لبيروت. ولكوننا موجودين في كلّ لبنان، ولا نعيش عقدة الجغرافيا، نستطيع الحصول على مجموعات أرشيفيّة لا يتوقّع البعض أنها موجودة!».

ويستشهد سليم على كلامه بما تمتلكه «أمم» من مواد «استديو بعلبك»، الّذي كان أول صرح في العالم العربيّ يقدّم أفلامًا بالألوان، وفقًا لصحيفة «الأخبار» اللبنانية. وثمة أمر أساسيّ في المنظّمة، وهو «أن يكون العمل مستمرًا، من خلال الموقع الإلكتروني مثلًا، فلو مررنا بظرف ما، ولم نستطع أن نضيف معلومات جديدة، فما فيه من معلومات يمكن أن يحافظ عليه حيًا، ويستطيع الناس الاستفادة منه لسنوات».

كيف بدأ استعمال التقنية في «أمم»؟ هل بدأ يدويًا ثم تطور؟ يوضح سليم أنّ الدخول في مجال التقنيات، يضع المنظَّمة في منافسة شديدة مع الآخرين. يعترف أحيانًا بوجود أخطاء في العمل، ولكن كان ينبغي إيجاد تقنيات متناسبة مع إمكانياتها.

تطوَّرت تقنية الرقمنة، وكذلك تقنية التصوير في «أمم»، وخصوصًا أن هناك الكثير من الموادّ التي ينصح بتصويرها وليس رقمنتها، من خلال تقنية «scan» أو «المسح الرقمي»، بحسب سليم. كذلك، يوجد نموذج من آلات التصوير يطلق عليها اسم «overhead camera»، وتقوم بمسح رقمي. هذه التقنية مهمَّة، ولكنها غير متوافرة في المنظمة، بسبب كلفتها الكبيرة، ولكنّ هناك مساعي حثيثة لتطوير بنيتها التحتية التكنولوجية.

تطوّر البرنامج الأرشيفي

يشير سليم إلى أن برنامج «ديوان الذاكرة اللبنانية» أنجز «على قياسنا»، فقد حاولت المنظَّمة في البداية شراء برنامج أرشيفيّ متخصّص، ولكنَّها فشلت، ثم بدأت من الصفر.

ومؤخّرًا، حدثت أزمة تسرُّب مياه إلى بعض أجزاء الأرشيف، أحدثت قليلًا من الأضرار التي جرى تداركها. يقول سليم: «اضطررنا إلى أن نُجْلِي جزءًا كبيرًا من أرشيف الصحف والدوريات لترميم الحائط الذي تسربت منه المياه، ولكن رُبَّ ضارة نافعة، إذ طلبنا من الموظفين إجراء إحصاء لكلّ ما في المنظمة من دوريات وصحف. أحيانًا، قد تصدر إحدى المطبوعات شهريًا ثم تتعثّر، فيكون صدورها لمرتين فقط. جرَّبنا أن نعمل على إعداد برنامج يضمّ كلّ هذه الاحتمالات، بيد أنَّنا فشلنا».

بعد ذلك، عادت «أمم» إلى العمل اليدوي، ولكنه لم يكن يدويًا بالكامل، بتعبير سليم، فكل دورية مرفقة تمتلك بطاقة، مثل صحيفة «السفير». ولدى المنظمة لائحة تحصي كل الأعداد المتوافرة منها، ليبدأ العمل بعدها على تحصيل الأعداد الناقصة.

في العام 1993، يذكر سليم أنّ «السفير» توقفت عن الصّدور باسمها، وصدرت باسم «بيروت المساء»، إذ استعارت اسم الصحيفة التي كانت تابعة لـ«منظمة العمل الشيوعي» آنذاك. هنا، يضاف إلى البرنامج ملاحظة في هذا الشأن، وهذا ما يمكن تسميته «العمل اليدوي والتدقيق».

أحصت «أمم»، من خلال هذه الطريقة، حوالى 300 دورية مختلفة النوع، بعضها صدر لمرة واحدة فقط. والأمر يصبح أصعب مع الدوريات النادرة التي لا يتوافر تاريخ صدور آخر عدد منها. وقد صدرت خلال الحرب الأهلية في لبنان مطبوعات، بحسب سليم، من مثل مطبوعة «الشياح» (منطقة في ضاحية بيروت الجنوبية)، كانت تُطبع عبر «ستانسل» (تقنية قديمة للطباعة)، وهي نادرة جدًا، ويتوافر منها عددان فقط. أيضًا، كان هناك مطبوعات يصدرها الفلسطينيون في لبنان و»منظمة التحرير الفلسطينية».

يعود سليم إلى مصطلح «الأدب الرماديّ». ففي رأيه، تصبح الأمور أصعب معه. وبالنسبة إلى المطبوعات، يمكن إعداد لائحة خاصَّة بها، والالتفات من خلالها إلى التغيير الطارئ على تواريخ صدورها. ولكن في العمل على المطبوعات المندرجة تحت نوع «الأدب الرمادي»، ينبغي العمل على كلّ وثيقة على حدة.

ولدى المنظّمة أيضًا مطبوعات نادرة، فهي تمتلك مثلًا دليلًا على الاصطياف في لبنان تحت اسم «مرشد المصطاف»، صادرًا في العام 1932، ويحتوي إعلانات لا توجد في مصادر ثانية، كإعلان عن «فندق شكري كامل» في منطقة «سوق الغرب» (منطقة تقع في قضاء عاليه أحد أقضية محافظة جبل لبنان).

أنواع متعدّدة من المحفوظات

لا تقتصر الوثائق الموجودة لدى منظمة «أمم» على المطبوعات والدوريات والصحف، فهناك أنواع أخرى منها، يشرح سليم الحاجة إليها بالقول: «أثناء الانتخابات، يجري توزيع قبعات وقمصان خاصة بالمناسبة، وهو ما يسمى artefact (بالعربية: أثر أو حقيقة أثرية). تعريف الوثيقة باختصار، هي أي شيء يحمل رسالة ما، ومن الممكن أن يكون قبعة تحمل شعارًا ما. نحن نُعنى بالآثار التي يمكن أن تكون شيئًا ذا معنى، أو تحمل رسالة، ويمكن أن يستفاد منها إذا ما وضعت في إطارها الزماني والمكاني».

وفي العام 1991، يروي سليم أنه وجد في إحدى المناطق، إبان فتح الطرقات بعد انتهاء الحرب الأهلية، عمودًا في الطريق، فأحضره واستطاع،

من خلال الأدوات الكهربائية، اكتشاف أثر حريق ورصاص فيه من مخلّفات الحرب. هذا العمود لا زال موجودًا في المنظمة، وبحسب سليم، هو شاهد على تلك الحرب.

وأكّد سليم أنّ الاقتناء جزء أساس من عمل «أمم»، مشيرًا إلى أنَّ الموظّفين يقومون أحيانًا بتجهيز وثائق ليتم حفظها، إذ إنَّ «أول مسؤولية يرتّبها الاقتناء علينا، هي الصّيانة والحفظ اللذان أصبحا علمًا قائمًا، وإرثًا أحيانًا. نحن نحاول قدر الإمكان الحفاظ على الموجودات، لأننا لا نمتلك الإمكانات اللازمة للصيانة مثل التبريد».

كذلك، يهتمّ سليم باقتناء المواد المرئية والمسموعة، ويعتبر أنَّ معالجتها أصعب، لأنها «قد تعالج كيماويًا مما يؤدي إلى تحلّلها، وهذا ما يجعل عمر الورقة أطول. نحاول في «أمم» تطوير طرق الحفظ والاستعانة بأشخاص على دراية بكل الأساليب المفيدة، ولديهم «حيل» لإطالة عمر الوثيقة، إلى حين التمكّن من معالجتها نهائيًا»، يضيف.

مشاريع «أمم» الجديدة متنوعة، فيوجد حاليًا مشروع بحثي وتوثيقي يهدف إلى رفع الوعي بالنسبة «إلى اللجوء في السياق اللبناني، وكيفية تعاطي اللبنانيين معه منذ مرحلة وجود الأرمن بين ظهرانينا؛ هؤلاء الذين صيَّرتهم «معاهدة لوزان» لبنانيين، إضافةً إلى اللجوء الفلسطيني والسوري».

ويقول سليم في سياق الحديث عن المشروع: «نحن نحتاج هنا، ضمن العمل على مفهوم اللجوء، إلى مراجعة ما كان يُقال عن اللجوء في الماضي، وهذا جزء من الوثائق التي نستفيد منها لمصلحة عملنا البحثيّ، وننشرها ليستفيد منها الآخرون في موقعنا الإلكترونيّ تحت عنوان «على الرحب والسعة»، وهو يتحدّث عن اللجوء السوري والفلسطيني. كما ننشر في الموقع كل ما صدر منذ العام 1948 في هذا المجال».

ما الذي يميز «أمم» عن باقي المؤسَّسات المتخصصة بالتوثيق والأرشيف! يجيب سليم: «بكلِّ بساطة، ربما صراحتنا بالقول إنَّ العمل الأرشيفي ليس عملًا خيريًا، بل هو موقفٌ من الحاضر والماضي أيضًا، تحت عنوان «محاسبة الماضي أفضل تمرين لمحاسبة الحاضر»، ولأننا نقوم بدورنا كمواطنين».

حسن زراقط: صحافي لبناني، حاز إجازة في اختصاص الصّحافة، ثمّ نال منحة "إراسموس موندوس" لمتابعة الماجستير في اختصاص العلاقات العامة في بولندا. عمل في عدد من المواقع الإخباريّة.

للتواصل عبر الإيميل: hasan.zaraket@gmail.com

N° 108
LES ACTUALITES LIBANAISES

Assader, Mousa
Fadi Toufiq

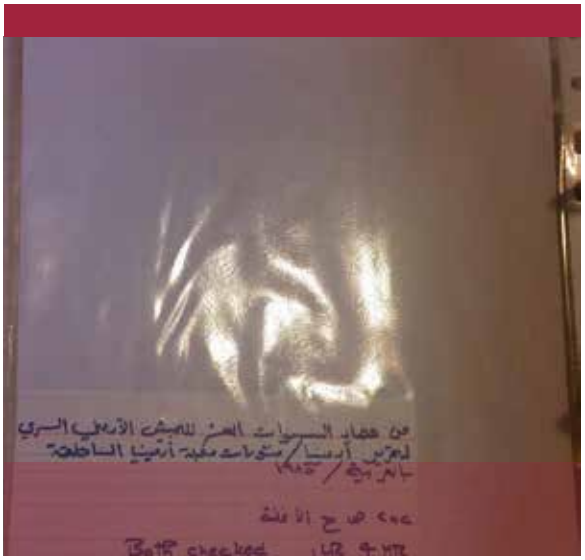

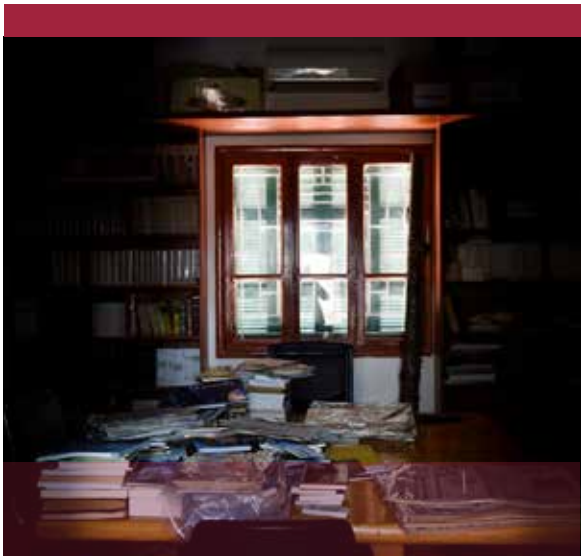

الحوادث
١٩٨٠
الحوادث
١٩٨٠
الحوادث
١٩٧٩
الحوادث
١٩٧٩

ثقافة أرشيفية

اتّحاد مؤسَّسات ذاكرة الوطن (٢)
تجربة نيوزيلاندا نموذجًا

غادة دمشق

يعود تاريخ تأسيس مشروع نيوزيلاندا الرقميّ إلى العام 2008، لكنَّ فكرة التأسيس سبقت ذلك الموعد بسنتين، عندما طُرح على رئاسة مجلس الوزراء في نيوزيلاندا في العام 2006 مشروعان هما: «أونلاين نيوزيلاندا» (New Zealand Online)، و«أسس الإتاحة» (Foundations for Access)، ليتمّ لاحقًا دمجهما تحت عنوان «نيوزيلاندا الرقمية» (Digital New Zealand).

في العام 2007، صار هذا المشروع جزءاً من «استراتيجية المحتوى الرقمي» التابع للحكومة النيوزيلاندية، فعمدت إلى تمويله، وأناطت إدارته والإشراف عليه إلى المكتبة الوطنية النيوزيلاندية، التي احتضنت مقرّ فريق عمل نيوزيلاندا الرقمية. هكذا، وفي العام 2008، تم إطلاق المشروع على الشبكة. انضم إلى هذا المشروع أكثر من 120 مؤسَّسة، من بينها أرشيف لمحطات إذاعيَّة، مكتبات وطنية، مؤسَّسات جامعية، مراكز أبحاث، متاحف وطنية ومتخصصة، معارض فنية، أرشيف صور، وثائق، أفلام وموسيقى. ومن هذه المؤسَّسات، أرشيف المحطة الإذاعية 95 ب. أف. أم.، المكتبة الوطنية النيوزيلاندية، المتحف الوطني لنيوزيلاندا، المكتبة النيوزيلاندية للموسيقى (Audio Culture)، ومؤسَّسات جامعية من نيوزيلاندا.

ورغم أنَّ الجزء الأكبر من هذه المؤسَّسات من داخل نيوزيلاندا، فإننا نلاحظ مشاركة مؤسسات من خارجها، من مثل موقع يوروبيانا، المتحف العسكري الوطني الأسترالي، مركز الأبحاث الأسترالي، باثي نيوز البريطاني (Pathé News)، المكتبة الألمانية الرقمية، المكتبة العامة الرقمية الأميركية (Digital Public Library of America)، وأرشيف الإنترنت (Internet Archive)...

أهداف التعاون

يهدف هذا المشروع إلى تقديم المصادر المختلفة حول نيوزيلاندا، من خلال نافذة بحث واحدة، وهو يعدّ من أوائل نماذج اللام في العالم، إذ يهدف إلى جعل الذاكرة الرقميَّة لنيوزيلاندا متاحة على الشبكة، ليكون من السَّهل الوصول إليها والتفاعل معها (Share) واستخدامها.

يدعم مشروع نيوزيلاندا الرقميّ مشاريع الرقمنة للمواد الجديدة، ويشجّع على الاتجاه نحو المشاع الإبداعي (Creative Commons)، لجعل هذه المصادر متاحة للجميع، ويكون لهم الحريَّة في إعادة استخدام المواد من دون قيد أو شرط. وما قام به مشروع نيوزيلاندا الرقميّ، هو إنشاء موقع «اجعله رقميًا» (Make it Digital) في العام 2009. تم إنشاؤه لدعم عملية الرقمنة في نيوزيلاندا وإدارتها، وخُصِّصَ له ميزانية بلغت حوالى 20 مليون دولار. من مهام «اجعله رقميًا»، إعداد سياسات وأدلَّة لتوجيه المؤسسات نحو عملية الرقمنة، ومن مبادئه الأساسية اختيار المواد التي يجب رقمنتها، ومن ثم تحويلها، وصفها، إدارتها، حفظها، وجعلها متاحة لتسهيل عملية استخدامها.

ومن أبرز ما قام به مشروع نيوزيلاندا الرقمي هو تنظيم مسابقة سُميت «Mix and Mash» لأجل التَّشجيع على الإبداع في إعادة استخدام المواد المرقمنة. هذه المسابقة تقام سنويًا، ويشارك فيها متسابقون من جميع أنحاء العالم. إضافةً إلى ذلك، نظّم المشروع مسابقة أخرى، سميت «GIF it UP»، وهي قائمة على إعادة استخدام الصّور الموجودة في موقع نيوزيلاندا الرقميّ، و«يوروبيانا»؛ المكتبة العامة الرقمية الأميركية. والمطلوب فيها إعادة استخدام الصور الموجودة في هذين الموقعين وتحويلها إلى صورٍ متحركة. أيضًا، تقام هذه المسابقة سنويًا، ويشارك فيها متسابقون من جميع أنحاء العالم.

كذلك، تمّ ضمّ أبحاث نيوزيلاندا (New Zealand Research)، التي تتضمَّن مجموعة ضخمة من الأبحاث الجامعية وأبحاث المؤسسات وأبحاث المعاهد، إلى موقع نيوزيلاندا الرقمي، من أجل دعم عملية الوصول إلى نتائج الأبحاث. إضافةً إلى ذلك، يسمح موقع نيوزيلاندا الرقميّ للمستفيد بجمع مواد بأشكال مختلفة حول موضوعٍ ما، وحفظها في مكانٍ واحد، ويمكن لاحقًا مشاركة ما تم جمعه من خلال مواقع التواصل الاجتماعي. ولدعم مشروع نيوزيلاندا الرقمي، قامت المكتبة الوطنية النيوزيلاندية باقتناء طاولة رقمية (Life Lines Touch Table)، يستطيع المستفيد من خلالها تصفّح جميع المواد التي تمَّت رقمنتها.

أما الأهداف المستقبليَّة للمشروع، فتتمحور حول زيادة عدد المؤسَّسات المشاركة، ليصل إلى حوالى 300 مؤسسة، وزيادة عدد المواد على الموقع ليصل إلى 30 مليون مادة. ويسعى إلى تحسين الميتاداتا التي يتمّ جمعها من مختلف المؤسَّسات، ليس فقط من خلال إضافة رؤوس الموضوعات إلى المواد، وإنما أيضًا من خلال تحسين عمليَّة جمع الميتاداتا وإدارتها، عبر توسيع نطاق المواضيع التي يتم جمعها لتشمل العلوم والبيئة، وجعل المحتوى مفتوحاً ومتاحاً للملكية العامة (Open Content License). كما أنه يهدف دائمًا إلى التنويع في أشكال المحتوى: سمعي، أفلام، ثلاثي الأبعاد، الكتب الرقمية، البيانات والإحصاءات، الخرائط والجرائد.

مجموعة نيوزيلاندا الرقميَّة

الهدف من مشروع نيوزيلاندا الرقميّ هو جمع كلّ ما يتعلَّق بتاريخ نيوزيلاندا وحاضرها من مواد، بأشكالها المتعددة. وحتى الآن، تضمّ مجموعة نيوزيلاندا الرقميَّة حوالى 33 مليون مادة، تم جمعها من أكثر من 120 مؤسَّسة ثقافية، حكومية، تربوية، بحثية، ومؤسسات خاصّة ومدنيّة... (Digital NZ, 2016).

تتضمَّن المجموعة 26.5 مليون مقالة تم جمعها من Papers Past، حوالى 3.7 مليون تسجيلة من المكتبة الوطنية النوزيلاندية، وحوالى 3 مليون تسجيلة من المؤسَّسات المشاركة (Digital NZ write up 2015).

كما تتضمَّن المجموعة أكثر من مليون صورة، أكثر من 150 ألف تسجيلة صوتية ومقابلات، أعمالًا فنية، ملصقات، خرائط، جرائد، قصصات صحافية، دوريات، كتبًا، 316 كيلو من المواد الأرشيفية، موسيقى، أفلامًا، أعمالًا فنية، 214 كيلو من أرشيف محطات إذاعية... تغطّي الحقبات الممتدّة من القرن التاسع عشر حتى القرن الواحد والعشرين.

أما بالنسبة إلى قيود الاستخدام، فتتوزع على الشَّكل الآتي:

- 1.4 مليون تسجيلة، الحقوق محفوظة.
- 1 مليون تسجيلة للمشاركة (Share).
- 860 كيلو من التسجيلات، يمكن التعديل عليها.

يهدف مشروع نيوزيلاندا الرقميّ إلى جعل الذاكرة الرقميَّة لنيوزيلاندا متاحة على الشبكة، ليكون من السَّهل الوصول إليها والتفاعل معها واستخدامها، وهو من أوائل نماذج قطاع اللام في العالم.

- 509 كيلو من التسجيلات، يمكن استخدامها للإعلانات والدعايات.
- 330 كيلو من التسجيلات، غير محدّد.

هذه التَّسجيلات كان معظمها قبل العام 2000، كما أنَّ أغلبها يغطي فترة الحرب العالميَّة الأولى.

عملية جمع التَّسجيلات

تتمّ عمليَّة جمع الميتاداتا من خلال نظام سوبليه جاك لجمع الميتاداتا (Supplejack metadata harvesting system). هذا النظام يقوم بمطابقة البيانات بمخطط (Schema) مبنيّ على أسس «دابلين كور». بعدها، تصبح هذه البيانات متاحة في الموقع، من خلال واجهة برمجة التطبيقات التابع للمشروع (Digital NZ API).

إنَّ سوبليه جاك (Supplejack)، هي أداة أنشأتها كلٌّ من نيوزيلاندا الرقمية والمكتبة الوطنية النيوزيلاندية للجمع والبحث وتبادل تسجيلات الميتاداتا. يُستخدم سوبليه جاك لجمع الملايين من الميتاداتا من مختلف المصادر ومختلف نماذج البيانات، مثل HTML, XML, RDF وغيرها من النماذج. هذه البيانات على اختلافها، انضوت ضمن فهرس بحث موحّد، بحيث تسمح للميتاداتا بأن تكون متاحة من خلال خدمة واجهة برمجة التطبيقات المفتوحة (Open API).

هكذا، مهما كانت معايير البيانات المتّبعة من قبل المؤسَّسات المشاركة وقواعد وصفها، فهي لا تعد مشكلة أمام عمليَّة جمع التسجيلات والميتاداتا. وبالتالي، فإن أداة سوبليه جاك وفّرت على نيوزيلاندا الرقمية عملاً شاقاً في توحيد معايير وصف البيانات. وبات هذا المشروع أفضل أسلوب لتقديم المساعدة لبعض المؤسَّسات المشاركة في عملية وصف الميتاداتا للمواد التي تقتنيها، ما يسهل عليهم لاحقًا عملية جمع المواد وفرزها.

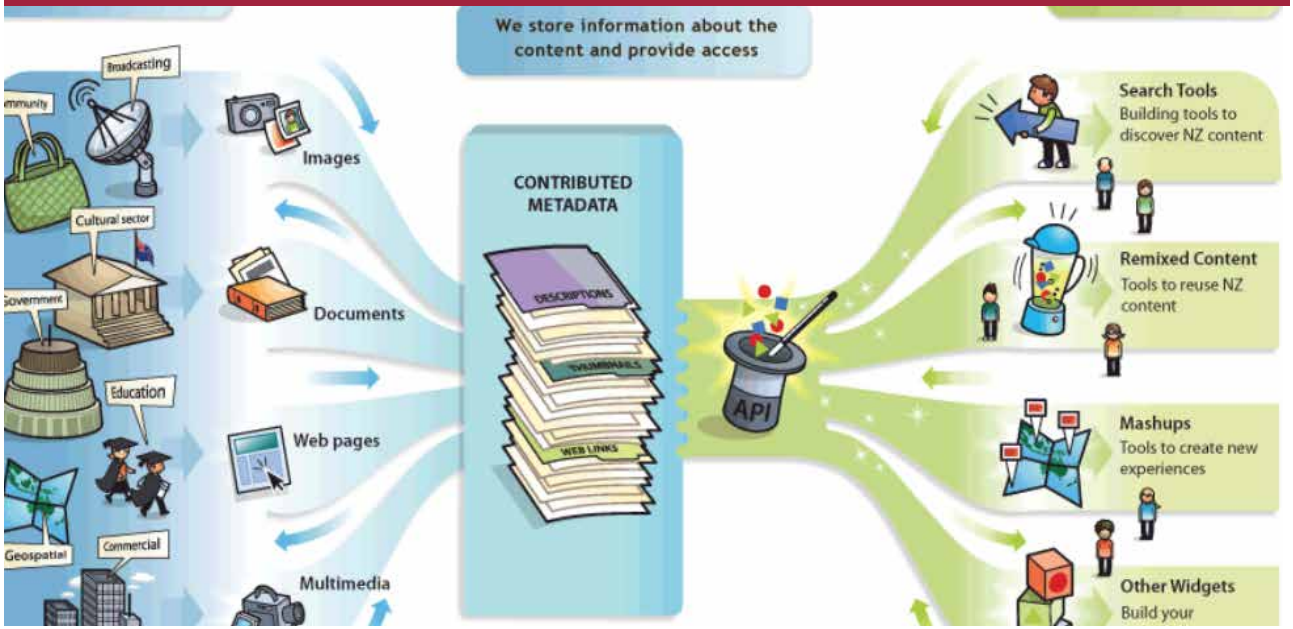

توضيحي (1): طريقة عمل نيوزيلاندا الرقمية

عملية البحث في موقع نيوزيلاندا الرقمي

:تتمّ عملية البحث في موقع نيوزيلاندا الرقميّ من خلال نافذة بحث واحدة

رسم توضيحي (2)

بعد إدخال مصطلح البحث، تظهر النتائج كالآتي: جميع النتائج، بحيث يمكن تصفّح جميع المواد بأشكالها المختلفة، أو البحث بحسب نوع المادة فقط، مثل البحث في نتائج الصّور فقط، أو المصادر السّمعية فقط، أو المصادر السمعية والبصرية، كالأفلام فقط... كما يمكن رؤية ما تمّ جمعه من خلال المستفيدين حول موضوع البحث في خانة المجموعة (Set)، إضافةً إلى تصفّح الجرائد، المقالات، الكتب، المواد الأرشيفية، الدراسات، والمخطوطات... كلّ واحدة على حدة.

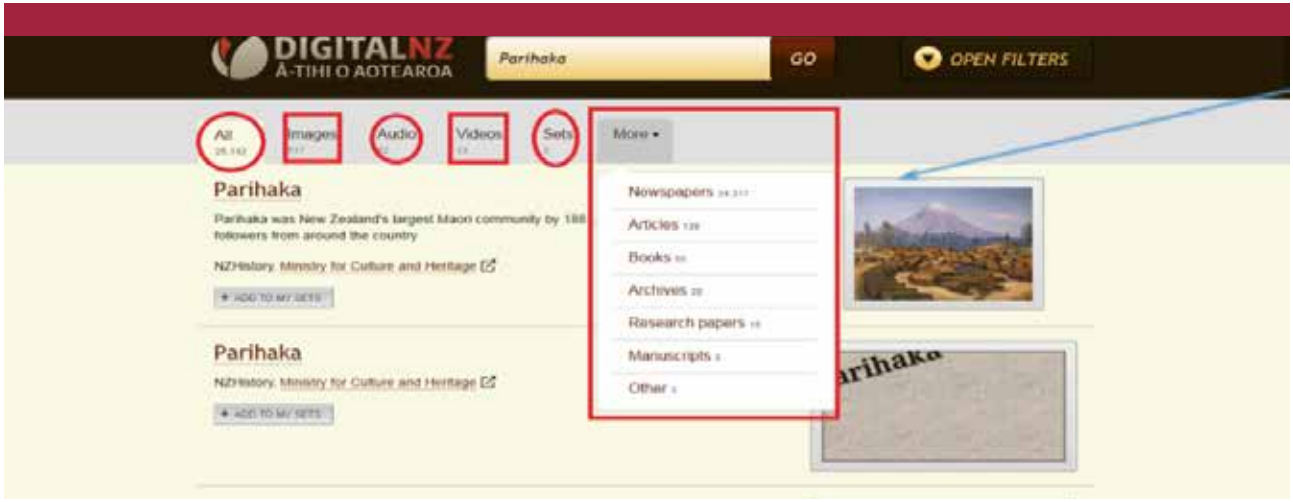

رسم توضيحي (3)

كما يمكننا ملاحظة أنّ هذه المواد تمّ أخذها من موقع «يوروبيانا» :

رسم توضيحي (4)

إضافةً إلى ذلك، يمكننا أيضًا تقليص نتائج البحث، من خلال تحديد الفترة الزمنية للموضوع الذي يتم البحث فيه.

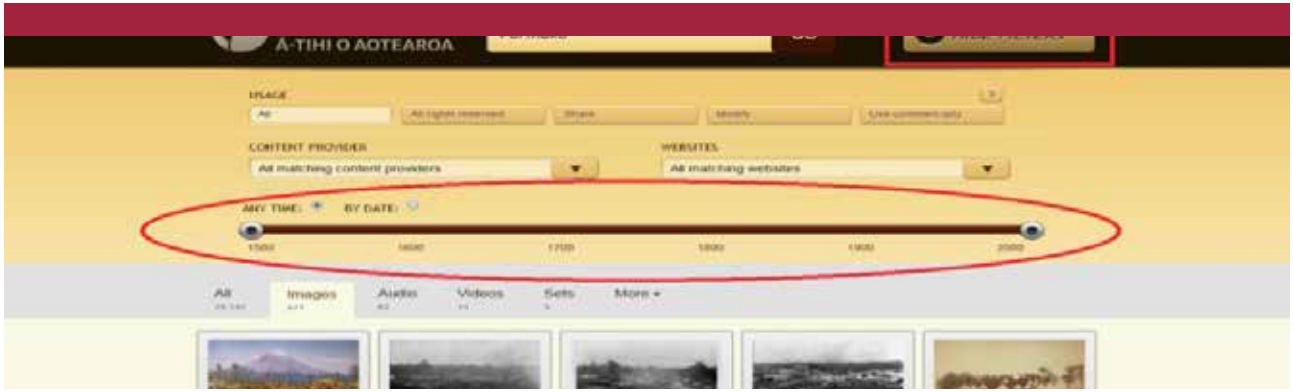

رسم توضيحي (5)

وعندما يتمّ اختيار المادة التي نريد تصفّحها، يظهر لنا أولاً عنوان المادة، والمكان التي نستطيع تصفّحها من خلاله، والمؤسَّسة التي تمتلكها، ويمكن الولوج إلى هذه المؤسَّسة من خلال موقع نيوزيلاندا الرقمية. إضافةً إلى ذلك، يتمّ تحديد الميتاداتا للمادة – نوع المادة - رؤوس الموضوعات. وما يميّز هذا الموقع عن غيره، أنه يسمح بإضافة تعليقات ونقاشات حول المادة التي يتمّ تصفحها. وأخيرًا، يسمح الموقع للمستفيد إمكانية إضافة هذه المادة ضمن مجموعة (Set) حول موضوعٍ محدد. فمثلاً، قد يرغب المستفيد بجمع كلّ ما يتعلّق بالأفلام النيوزيلاندية، أو كلّ ما يتعلق بالشاطئ... تتم هذه العملية من خلال «أضف إلى المجموعة» (Add to Set).

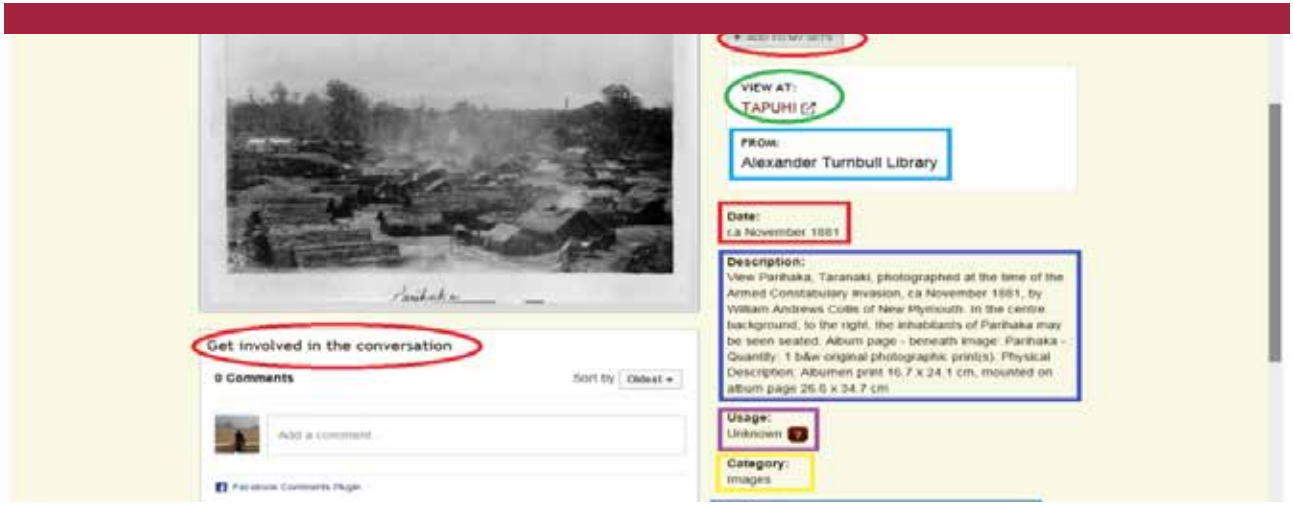

رسم توضيحي (6)

وهكذا، أصبح في الصَّفحة الرئيسية للموقع رابط يحيلنا إلى ما تمّ جمعه من خلال المستفيد:

رسم توضيحي (7)

يعدّ مشروع نيوزيلاندا الرقميّ من أوائل نماذج قطاع اللام. يهدف هذا المشروع إلى جعل الأشكال المختلفة للمواد مترابطة مع بعضها البعض، ويقدّم للمستفيد بياناته المترابطة، ويجعلها مفتوحة له، فتقوي العلاقة بين المستفيد والمحتوى الرقميّ، وتشجّعه على مشاركة هذه المواد وبياناتها وإعادة استخدامها لإنتاج محتوى جديد، وتنمّي الإبداع والابتكار لدى مستفيديها. اللافت أيضًا في هذا المشروع، أنَّه تابع للحكومة النيوزيلانديَّة، ويدار من قبل المكتبة الوطنية النيوزيلاندية، إضافةً إلى أنه يضمّ مؤسّسات من خارج نيوزيلاندا، من مؤسّسات أميركية وأوروبية. وقد أجمعت جميع المؤسَّسات المشاركة على أنَّ هذا الموقع ساهم في تحسين رؤية مواقعهم ومجموعاتهم.

واستطاع المشروع أيضًا أن يثبت إمكانية إعادة استخدام البيانات وتقديم ابتكاراتٍ جديدةٍ. وسمح للمستفيد بالتعامل مع المواد وبياناتها بحريةٍ مطلقة، إذ يستطيع تحويل الصّور الثابتة إلى صورٍ متحركةٍ، أو دمج المواد المتعددة الأشكال لإنتاج مادة جديدة، أو السَّماح للمستفيد بجمع المواد بحسب موضوعٍ يهمه... هذه الحرية في التعاطي مع المواد تشجّع المستفيد على الاتجاه نحو الابتكار.

ونلاحظ أنَّ أكثر ما يرضي المستفيد، هو وصوله إلى المواد بأشكالها المختلفة من خلال مصدرٍ واحدٍ. هذا الأمر وفّر الوقت عليه، وسهّل عملية وصوله إلى المعلومات التي يحتاجها. لقد استطاع المشروع أن يثبت أنّ المستفيد بات مرتبطاً بشكل وثيق بالمحتوى الرقميّ، كما أنه يفضّل أسرع طريقة للوصول إلى ما يريد، وهذا ما يتيحه له مشروع نيوزيلاندا الرقمي.

المراجع:

1. لمراجعة عمل الرابحين في مسابقة «Mix and Mash»، انظر:

http://www.mixandmash.org.nz/showcase/supreme-award-november-showcase-student-award

2. لمراجعة عمل الرابحين في مسابقة «GIF it UP»، انظر:

meet-the-winners-of-gif-it-/08/12/http://dp.la/info/2015/up-2015

3. مراجعة أرشيف الصور التي أُعيدَ استخدامها في مسابقة «GIF it UP»، انظر:

/httphttp://gifitup2015.tumblr.com

4. انظر:

About Digital New Zealand. Retrieved from Website: ./https://digitalnz.org

5. انظر:

Digital NZ. Retrieved from Website: https://en.wikipedia.org/wiki/DigitalNZ

غادة دمشق: اختصاصية في مجال المعلومات والمكتبات، ومفهرسة في مشروع النهوض بالمكتبة الوطنية اللبنانية. هي أيضًا مدربة في قواعد وصف المصادر وإتاحتها، وتعد حاليًا رسالة ماجستير في إدارة المعلومات.

للتواصل عبر الإيميل: ghadadimashk@gmail.com

الأرشيف السّمعي البصريّ
حفظ الذاكرة الجماعيّة

فاطمة البزّال

تساءل الأديب والروائي السعودي عبد الرحمن منيف يومًا عن معنى التاريخ بقوله: «التاريخ؟ إعادة رسم الأمكنة والأزمان التي مرَّت؟ تعزيز ذاكرة الأجيال الجديدة؟». إنَّنا نعيد رسم الأمكنة بالصّورة الباقية عن ماضيها، ونعزّز الذاكرة بتسجيل يحيي أسلوب حياة وواقع أصبح ماضيًا للأجيال الحالية. لا حاجة لإبراز أهمية الأرشيف وارتباطه بحفظ الذاكرة وتسجيل التاريخ، لكنَّ للذاكرة السمعية البصرية وقعًا مختلفًا، فالصورة المتحركة المدمجة بالصوت تعيد إحياء الماضي بطريقة أكثر واقعيةً، لأنها تمثل الماضي الحيّ بتفاصيله كافةً، بناسه وعماراته وطرائق عيشه وبيئته. تبرز المقاطع الملتقطة للماضي القريب ارتباطه بالحاضر، وتسعى إلى إعداد الربط بين الحاضر بواقعيّته والماضي بالحنين والشوق إليه. تعزّز الصّورة والصّوت الشعور بالانتماء إلى المكان والجماعة، لأنَّهما تستعرضان ماضي المكان بطريقة حيّة، فتبيّنان ملامحه التي قد تغيب عن الفكر في النصّ المقروء عن هذا الماضي.

نستعرض في هذه المقالة أهميَّة الأرشيف السّمعيّ البصريّ، بإبراز لمحة عن تاريخ نشأته وأنواعه، ونعود إلى الحاضر، فنبرز طبيعة العمل الأرشيفي في القرن الحادي والعشرين، والاتجاهات الحالية في الاستثمار بالأرشيف والذاكرة، وعرضها لأكبر شريحة من الجمهور.

أولًا: لمحة تاريخية

لا يمكننا تحديد بداية رسميَّة للعمل الأرشيفيّ السّمعيّ البصريّ، إذ بدأت هذه الأرشيفات من خلال نشاطات متنوّعة، لعلّ أبرزها نشاط المؤسَّسات الأكاديمية في جمع مصادر المعلومات وتنظيمها، ومنها المصادر السمعية البصرية. وبالتالي، اعتبرت كلّ النشاطات المرتبطة بهذه الأنواع الجديدة من المصادر، امتدادًا للعمل اليومي لهذه

المؤسَّسات، وتطوَّرت هذه المجموعات نتيجة لتوسّع استخدام الوسائل السَّمعيَّة البصريَّة وانتشارها بشكل عام.

برزت اتجاهات أوليّة في الفصل المؤسّسي لأرشيفات الصوت والصورة والأفلام، وبعدها التلفزيون، لكونها تنتج من مؤسَّسات مختلفة ومتنوّعة. يأتي هذا الفصل انعكاسًا لاختلاف طبيعة المواد ومحتوياتها ضمن كل أرشيف. ولكن منذ ثلاثينيات القرن العشرين، بدأت هذه الأرشيفات تتخذ هويات أكثر وضوحًا، مع نشأة الجمعيات المهنية العالمية التي تمثل كل ميديا/ وسيط بحد ذاته. لاحقًا، ومع ازدياد الاهتمام العالمي بهذه المواد، حازت اهتمام الجمعيات المهنية العالمية التي تُعنى بالمكتبات والمتاحف والأرشيفات واعترافها.

كذلك، لا يمكننا تحديد بداية تاريخية رسميّة لعمل الأرشيفيين السّمعيين البصريين كمجموعة مهنيَّة، إذ كان للأرشيفيين في هذا المجال خلفيات مهنية متنوعة، على الرغم من اجتماعهم حول مبدأ أهمية جمع هذه المواد وحفظها من الضّرر والتّلف، إضافةً إلى إدراكهم أهمية العمل الذي يقومون به. وقد اجتمع على هذا العمل أفراد من مؤسَّسات أكاديمية ومؤسّسات بثّ الصوت والصورة والأفلام، إضافةً إلى أشخاص ذوي خلفيات علميَّة أو فنيَّة.

يمكننا القول إنَّ التسجيلات الصوتية والرسوم المتحركة نالت القيمة والأهمية الأعلى من بين الوسائل الأخرى على الإطلاق مع بدايات القرن العشرين. وبالرغم من أنّ اختراعها كان نتيجة الإبداع العملي في ذلك الوقت، فإنّ أسباب انتشارها السريع وشهرتها تُعزى إلى استخدامها لتحميل مضامين ترفيهية تصل إلى شرائح واسعة من الجمهور. وبذلك، بدأت المؤسَّسات الأرشيفيَّة تتلمّس أهمية هذه المواد ومهمّتها المرتبطة بجمعها والحفاظ عليها، فنجد مثلًا جهود المتحف البريطاني British Museum في جمع مواد الرسوم المتحركة motion pictures، لتكون جزءًا من سجلّه التاريخي. كذلك، نجد مكتبة الكونغرس الأميركيَّة حائرة فيما يجب عليها عمله بأوائل المطبوعات الورقية لبكرات الأفلام السينمائية التي أرسلها صانعو الأفلام إلى المكتبة!

نشأت أرشيفات الأفلام كمؤسَّسات مستقلّة عن مؤسَّسات المعلومات الأخرى في العقد الثالث من القرن العشرين في أوروبا وأميركا الشمالية، واستمرَّ أرشيف الصوت في التطور بالتوازي مع هذه المؤسَّسات الجديدة، ولكن بشكل مستقلّ، وضمن مؤسَّسات متنوّعة. بعد الحرب العالمية الثانية، توسّع انتشار مؤسَّسات أرشيف الأفلام، ووصل إلى أنحاء العالم كافة، وذلك بعد أن أصبحت الأهمية والقيمة الثقافية للمواد السمعية

البصرية ظاهرة وملموسة ومعروفة وشرعية وذات قبول واسع. وفي العشرينيات من القرن العشرين، أنتج تطور الراديو أشكالًا جديدةً من المواد غير التقليدية، التي تتطلَّب جهودًا وتقنيات حفظ مختلفة. كذلك الأمر بالنّسبة إلى الأفلام الّتي لاقت انتشارًا في الأربعينيات من القرن نفسه، وأنتجت أيضًا أنواعًا وأشكالًا جديدة من المواد التي تحمل مضامينها، وتتطلَّب جهودًا مختلفةً وبيئةً جديدةً لحفظها. كذلك، طرحت تساؤلات حول إمكانية الإتاحة المستقبلية لهذه المواد، بعد تغيّر المادة الحاملة لمحتوى الفيلم وتطوّرها.

إنَّ المشهد في عالم القرن الحادي والعشرين بات أكثر تعقيدًا مع التطورات التكنولوجيَّة المرتبطة ببيئة إنتاج المعلومات وبثّها وإتاحتها بشكل عام. طرحت شبكة الإنترنت إمكانيات أكثر، فتعدَّدت الوسائل التي تحمل المحتوى السّمعي البصريّ، وانتشرت بشكل سريع جدًا. الأقراص المدمجة الحاملة للأفلام والصور والموسيقى لاقت رواجًا واسعًا في أواخر القرن العشرين، لكن إتاحتها ارتبطت باقتناء هذا القرص أو استعارته من مؤسسات المعلومات (المكتبات والأرشيفات). أما شبكات التواصل الاجتماعي، فهي تطرح تحديات أكبر وأكثر تعقيدًا، إذ صارت إتاحة الوصول إلى الأفلام والمواد الموسيقية مفتوحة نوعًا ما ومرتبطة بالاتصال بشبكة الإنترنت. أنتج اليوتيوب ثورة في هذا المجال، وأعطى خيارات واسعة في البحث عن المضمون السمعي البصري والوصول إليه. طرحت هذه التطوّرات في بيئة بثّ المضمون السمعي البصري تساؤلات بالنسبة إلى المؤسَّسات الأرشيفية، وأعطتها مهمات كبرى مرتبطة بملاحقتها، كمضامين أرشيفيّة، والعمل على حفظها لتسهيل إتاحتها مستقبليًا.

من خلال هذا العرض التاريخيّ، نستنتج وجود أنواع أساسيَّة من الوثائق التي تقتنيها الأرشيفات السّمعية البصريّة، وفقًا للتطورات التقنية التي أنتجت أنواعًا مختلفة من المواد. ففي مجال البصريات، نتحدَّث عن الصور والأفلام، وفي مجال السّمعيات، نتحدَّث عن تسجيلات الراديو والموسيقى والأفلام أيضًا. إذًا، تجمع الأفلام عناصر سمعيَّة بصريَّة، فتدمج الصّورة بالصّوت، لتكوّن مشهدًا تمثيلًا حيًا مقاربًا للحياة الواقعيّة.

ثانيًا: أنواع الأرشيفات السَّمعية - البصريَّة

نستعرض هنا أنواعًا من الأرشيفات السَّمعية البصريَّة، تبعًا لاختلاف طبيعة نشاطاتها، والمواد التي تقتنيها، والجمهور الذي تستهدفه. قد تنتمي بعض الأرشيفات إلى واحدة أو أكثر من هذه الأنواع. نشأ بعضها نتيجة سياسة واضحة ومحدّدة، ومنهجية سليمة متّبعة بالنسبة إلى اقتناء المجموعة وحفظها، بينما نشأت أرشيفات أخرى نتيجة اقتناء مجموعة شخصيَّة أو مؤسَّسيَّة في الدّرجة الأولى.

1. أرشيفات البث Broadcasting archives

تحفظ هذه الأرشيفات بالمبدأ مجموعة مختارة من برامج الراديو و/ أو التلفزيون، إضافةً إلى مجموعة من التسجيلات الدعائية والإعلانية. يمثل عادة هذا النوع من الأرشيفات قسمًا من المؤسسات الإعلامية والإعلانية، سواء كانت مؤسَّسات ضخمة ومعروفة أو صغيرة ومغمورة. قد تتضمَّن مجموعاتها بعض المواد الخام، منها المقابلات بصيغتها الأولية قبل عملية المونتاج وتسجيلات المؤثرات الصوتية، إضافةً إلى مجموعة من المواد المرتبطة، كتسجيلات البرامج program scripts الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة.

2. المتاحف السّمعية البصريّة

تعمل هذه الأرشيفات على حفظ مجموعة الأدوات المستخدمة لصناعة المواد السمعية البصرية وعرضها، ومنها الكاميرات وأجهزة العرض والفونوغراف والملصقات والدعاية والأزياء والتذكارات. وإضافةً إلى هذه المعدات، تعمل هذه الأرشيفات على عرض مجموعة من الصور والصوتيات في معارض مفتوحة للزوار، لأهداف تعليمية وترفيهية.

3. الأرشيفات السّمعية البصريّة الوطنيّة

تعمل هذه الأرشيفات على مستوى الوطن ككلّ، فهي هيئات ذات

مسؤوليّة كبرى مرتبطة بحفظ الذاكرة الوطنية السمعية البصرية. لذلك، نجدها تعمل على جمع التراث السمعي البصري وتوثيقه وحفظه ضمن ظروف ملائمة تسمح له بالبقاء لأطول أمد ممكن، وبالتالي تهيئ ظروف إتاحته للأجيال المستقبليّة. إنها أرشيفات ممولة حكوميًا تعمل على حفظ الأفلام والصوتيات المصنّفة بأنها الأكبر والأكثر شهرة عالميًا. تستقبل هذه الأرشيفات كلّ الأفلام والموادّ الأخرى المنتجة محليًّا في سياق تطبيق قانون الإيداع الإلزامي، وتعمل بذلك على توثيق الذاكرة المحلية السّمعية البصريّة وحفظها للإتاحة المستقبليّة. قد تشكّل هذه الأرشيفات دائرة إدارية من المكتبة الوطنية أو الأرشيف الوطني أو المتحف الوطني، وقد تشكّل مؤسسة قائمة مستقلة بحدّ ذاتها، وذلك يرجع إلى سياسة البلد العامة، وإلى ضرورة إنشاء مؤسَّسة مستقلّة معنيَّة بالمواد السمعية البصرية بالتحديد.

4. أرشيفات الجامعات والمؤسَّسات الأكاديميّة

تقتني بعض المكتبات الجامعيَّة والأكاديميّات العالميَّة مواد سمعية بصرية، كجزء من مجموعتها المكتبية، بهدف خدمة الباحثين الأكاديميين، ويمكنها أن تمارس دورًا مرتبطًا بحفظ التراث السّمعيّ البصريّ للمنطقة الجغرافيّة التي تخدمها، فيَعظم دورها على مستوى الوطن ككلّ، كحافظةٍ لتراثه.

5. الأرشيفات المتخصّصة موضوعيًا

هي أرشيفات متخصِّصة بموضوع محدّد، لا تخدم هدف حفظ الذاكرة بشكل عام، بل تسعى نحو نوع أكبر من التخصّص، من خلال اختيار حقل موضوعيّ معيّن، والعمل على جمع تراثه السمعي البصري وحفظه. يتركّز عمل

للذاكرة السمعية البصرية وَقْعٌ مختلف، فالصورة المتحركة المدمجة بالصوت تعيد إحياء الماضي بطريقة أكثر واقعيةً، لأنها تمثل الماضي الحيّ بتفاصيله كافةً، بناسه وعماراته وطرائق عيشه وبيئته.

هذه الأرشيفات على موضوع أو ثيمة محددة أو منطقة جغرافية أو فترة زمنية. نجد مثلًا أرشيفات متخصّصة بحفظ تراث مجموعات إثنية أو قومية أو ثقافية محدّدة، كما نجد أرشيفات أخرى تسعى إلى خدمة حقول بحثيّة وأكاديميّة محدّدة. وهنا تبرز مؤسَّسات الأرشيف الشّفهي ومكتبات السّينما والفيديو.

6. أرشيفات الاستديو Studio Archives

تعمل بعض شركات إنتاج الأفلام على حفظ أرشيفها وصيانته، من خلال إنشاء وحدات وأقسام إدارية خاصّة لهذه المهمّة. وقد صار الأرشيف، بالنّسبة إليها، وعيًا لتاريخها وسير عملها، وحفظًا لمجموعاتها من الضّرر والتّلف.

7. المكتبات والأرشيفات والمتاحف بشكل عام

تُكوّن الموادّ السّمعية البصريّة، والموادّ المصاحبة لها، جزءًا من مجموعات المكتبات والأرشيفات بشكل عام، وجزءًا من معروضات المتاحف العامّة ومقتنياتها.

ثالثًا: الأرشيف بالمجانّ مقابل الأرشيف كاستثمار

لا قيمة للذاكرة المخفيّة، فالحفظ الأرشيفيّ مقرون دائمًا بالإتاحة، وهو ما تعمل عليه كل مؤسَّسات المعلومات من أرشيفات ومتاحف ومكتبات، لكنَّ هذه الذاكرة قد تصبح بحدِّ ذاتها سلعة قابلة للاستثمار، وهو اتجاه يتعزَّز تدريجيًا مع زيادة الوعي بأهمية هذه الذاكرة المهدّدة بالضياع في أية لحظة، في ظلِّ كل ما نشهده من أحداث في عالمنا العربي بالتحديد.

وعلى الرغم من أنَّ مفهوم الإتاحة هو في صميم مهامّ المؤسَّسات الأرشيفيّة، فإنَّ هذه الإتاحة قد لا تكون مطلقة وعامّة ومفتوحة بالنسبة إلى بعض المؤسَّسات، لأنَّ الأرشيف قد يكون مصدر استثمار مربحًا جدًا، وخصوصًا إذا أصبح يمثّل ذاكرة أمكنة وأشخاص وطرائق عيش مهدّدة بالاندثار.

أبرزت التكنولوجيا الحديثة أهميّة الأرشيف، وقرّبته إلى الناس، وعزّزت قيمته لديهم. ففي لبنان على وجه الخصوص، نجد الكثير من المؤسَّسات التي تستثمر في الأرشيف السّمعي البصريّ، منها أرشيفات المؤسَّسات التلفزيونية وأرشيفات مؤسَّسات الإنتاج الفيلميّ الوثائقيّ. وهناك اتجاه آخر يسعى إلى عرض الأرشيف عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ، لضمان وصوله إلى أوسع شريحة ممكنة من الجمهور. من هنا، نجد الكثير من الصَّفحات التي توثّق الذاكرة اللبنانيّة في الفايسبوك مثلًا.

إنَّ تجربة مؤسَّسة أرشيف فايرهورس «Fire Horse Archive» بارزة في هذا السِّياق، وهي مؤسَّسة منتجة للأفلام الوثائقيَّة والبرامج التلفزيونيَّة. وطبيعة الأفلام الوثائقية التي أنتجتها الشركة كوَّنت لديها كنزًا أرشيفيًا يوثّق ذاكرة المجتمع العربيّ بالتحديد، فعملت بموازاة شركة الإنتاج على إنشاء شركة للأرشيف تستثمر فيها الذاكرة الغنية التي كوَّنتها على مدار أكثر من عشرين عامًا من العمل في إنتاج الأفلام الوثائقيّة.

أنتجت الشركة أفلامًا وثائقيَّة تحاكي المجتمع العربيّ وأنماط الحياة والثقافة والعمارة والمناظر الطبيعية والهندسة الطبيعية فيه، فكوّنت بذلك مخزونًا من لقطات الفيديو لأشخاص وأماكن ومناظر عامَّة قد لا تمتلك الإمكانيَّة لإعادة التقاطها في وقتنا الحالي. في هذا الأرشيف، نجد مثلًا لقطات لقلعة تدمر الأثريَّة في أوائل القرن الحادي والعشرين، أي قبل احتلال داعش لها وتدمير قسم منها. نجد كذلك لقطات توثّق تراث المجموعات الدينية والإثنية والعرقية في شرقنا، منهم السّريان والأكراد والأقباط والشيعة واليهود وغيرهم. هذا الأرشيف الغني جدًا أصبح في متناول الجمهور بعد عمل المؤسَّسة على توثيقة وحفظه طبقًا للمعايير العالمية، لكنَّ إتاحته مشروطة بمبلغ ماليّ تتقاضاه الشركة عن كل صورة أو مقطع فيديو يحتاجه المستفيد.

ونجد في صفحات الفايسبوك الكثير من الصور والأفلام التي توثّق الذاكرة اللبنانيَّة بالتحديد. فصفحة «تراث بيروت» مثلًا، تعرض صورًا

ولقطات فيديو عن بيروت والبيارتة، قد ترجع إلى القرن الثامن عشر. ونجد فيها مثلًا صورة لمرفأ بيروت في القرن التاسع عشر، وصورًا أخرى للجامعة الأميركيَّة في بيروت منذ عهدها الأول وبداياتها في منتصف القرن التاسع عشر.

وتوجد صفحة أخرى تسعى إلى توثيق ذاكرة الحرب الأهلية اللبنانية بالتحديد، تحمل اسم «Memory at work ديوان الذاكرة اللبنانية»، وهي صفحة الفايسبوك الخاصة بمشروع «ديوان الذاكرة اللبنانية: دليل اللبنانيين إلى الحرب والسلم»، الذي يعمل عليه «مركز أمم للتوثيق والأبحاث». تعرض هذه الصفحة مجموعة من الوثائق والصور التي توثّق مراحل الحرب الأهليَّة اللبنانيَّة بين العام 1975 والعام 1990.

على الرغم من أنَّ بعض جهود عرض الذاكرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي تعتبر فرديةً وغيرَ منتظمةٍ مؤسساتيًا، وعلى الرغم من بعض العوائق المالية القائمة للحصول على مستندات أرشيفيَّة من المؤسَّسات التي تخلق هذا الأرشيف وتستثمر فيه، فإنَّ جميع هذه الجهود مباركة، لأنها تعيد الحياة إلى ماضٍ قريبٍ أو بعيدٍ يسعى البعض إلى طمس معالمه وإخفائه من التاريخ.

قال الأديب السّوري فرج بيرقدار يومًا: «بأحذيتهم يحاولون محو ماضيك، وبأسنانك وأظافرك تحاول أن تتشبَّث بالزمن والذاكرة والأحلام».

المراجع:

1. الأرشيف السمعي البصري: هل الذاكرة الجامعية في خطر؟ مجلة الإذاعات العربية، العدد 2، 2013.
2. المناصير، محمد، الحفظ والصيانة لأرشيفات الصوت والصورة: الترميم والرقمنة، 2013.
3. «تراث بيروت»، صفحة في موقع فايسبوك. آخر مراجعة بتاريخ 20 نيسان/ أبريل 2017.
4. انظر:

Edmondson, Ray (2004). Audiovisual archiving: philosophy and principles. Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

5. انظر:

Okahashi, Akiko (2011). Preservation of Audiovisual Collections at the Nationa Diet Library

6. انظر:

Fire Horse Archive website. Available at http://firehorsearc.com/ Last viewed on 20 April 2017

فاطمة شاهين: اختصاصيَّة في مجال المعلومات والمكتبات، ومفهرسة في مشروع النهوض بالمكتبة الوطنية اللبنانية. هي أيضًا مدربة في تنظيم المكتبات، وتعد حاليًا رسالة ماجستير في إدارة المعلومات.

للتواصل عبر الإيميل: shaheenfatima810@gmail.com

وقد لاحظ الاختصاصيون في نيوزيلندا أنَّ المستفيد كان راضيًا جدًا عندما قدموا له مخطوطة ووثيقة حكومية تجمع بينهما علاقة. ففي رأيهم، سيساهم هذا الأمر في تغيير طريقة تصفّح المستفيد للمجموعات. ووفقًا للاختصاصي رايت (Wright)، فإنَّ التعاون بين هذه المؤسَّسات أدّى إلى تغيير في مفهوم المجموعة، وكيفية تعامل المستفيد معها، وأدّى أيضًا إلى تشجيع فريق العمل على دراسة ما يحتاجه من أجل تطوير البرامج والخدمات المناسبة لمواجهة تعقيدات العالم الرقمي.

يعتبر الباحثون أن عمليّة مشاركة المعلومات والبيانات تساعد في تحقيق الهدف البعيد المدى، فهي عملية استثمار طويل الأمد، ونعني بالاستثمار: الوقت، الموارد، الثقة، والتنازلات التي يجب القيام بها لإنجاح هذه العملية، ولكي تستطيع كلّ مؤسَّسة أن تركز جهودها على الأشياء الفريدة التي تتميز بها، وتكون قادرة على تقديمها للمستفيد. وهكذا من خلال عملية التعاون، يتم تحقيق فوائد للجميع، وتوفير حلولٍ وسطى ترضي كل الأطراف (Waibel & Erway, 2009)، فالتعاون بين هذه المؤسسات بهدف زيادة الوصول إلى مصادر مؤسّسات التراث الثقافي من خلال الشبكة، هو هدف أساس من أجل ضمان الصلة بينها وإشراك الجمهور في عصر المعلومات (Ray, 2009; Given & McTavish, 2010).

كذلك، لاحظ الباحثون أنّ التعاون بين مؤسَّسات ذاكرة الوطن سيعزّز مكانتها في المجتمع، وسيحسن خدماتها، ويطوّر برامجها، ويلبي احتياجات مجموعة أوسع وأكثر تنوّعًا من الباحثين والمتعلمين، وبخاصّة الفئة المحرومة منهم، كما سيساعدها على خدمة مجتمعها، من خلال تقديم مجموعاتها بطريقة متكاملة.

تقدّم كلّ مؤسّسة مجموعة فريدة من الخبرات لمجموعة محددة من المستفيدين، ولكن في ظلّ التعاون، سيتم تقديم مجموعة أوسع من التسجيلات لمجموعة أوسع من المستفيدين، إذ يهدف التعاون إلى الوصول الأسرع والأسهل إلى المواد، وهنا يأتي دور أنظمة المعلومات في تسهيل هذه العملية (Deng, 2010). لذلك، لم يعد التعاون في عصر التكنولوجيا خيارًا، بل بات قدرًا، فعلى الرغم من أن هذه المؤسَّسات تعمل بطرق مختلفة، فإنّها تجتمع على هدف أساسي (Wythe, 2007).

غادة دمشق: اختصاصية في مجال المعلومات والمكتبات، ومفهرسة في مشروع النهوض بالمكتبة الوطنية اللبنانية. هي أيضًا مدربة في قواعد وصف المصدر وإتاحتها، وتعد حاليًا رسالة ماجستير في إدارة المعلومات.

للتواصل عبر الإيميل: ghadadimashk@gmail.com

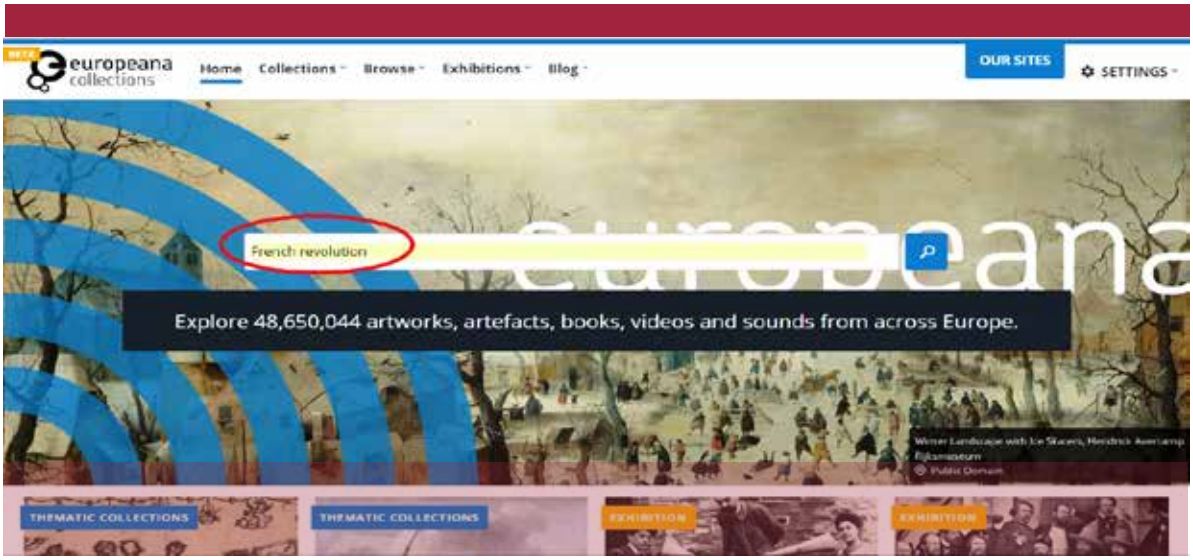

تتضمن النتائج نصوصًا، صورًا، مقاطع فيديو، وتسجيلات صوتية. ويمكننا أن نرى جميع النتائج بأشكالها المختلفة، كما سنلاحظ في الرسوم التوضيحية التالية:

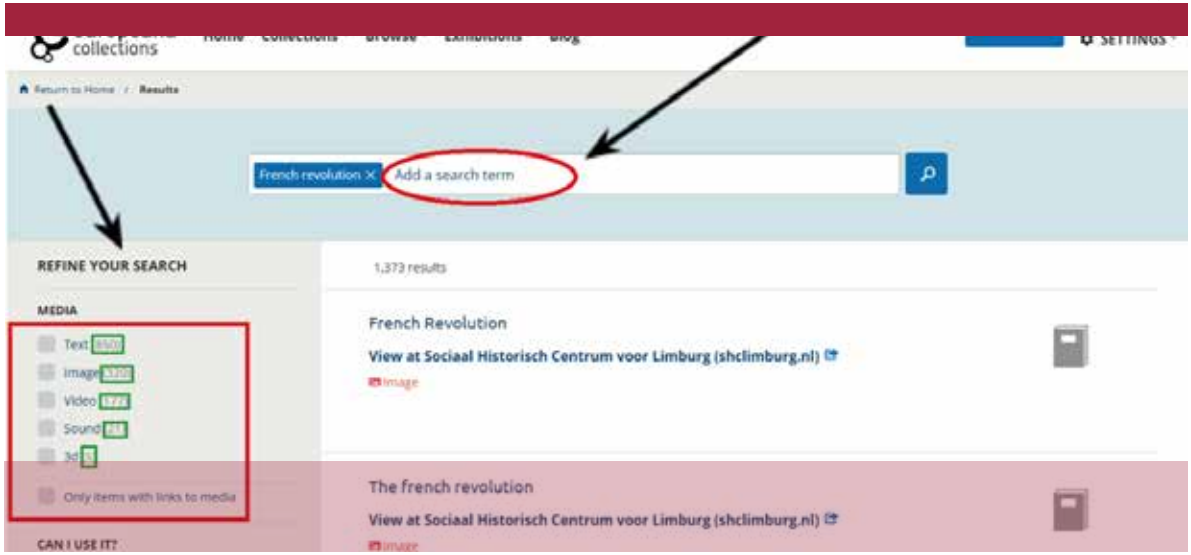

أو يمكننا تحديد اللغة أو البلد أو المؤسسة، إضافة إلى إمكانية تحديد المواد المسموح بالاطلاع عليها، أو تلك التي فُرضت عليها قيود تمنع تصفحها:

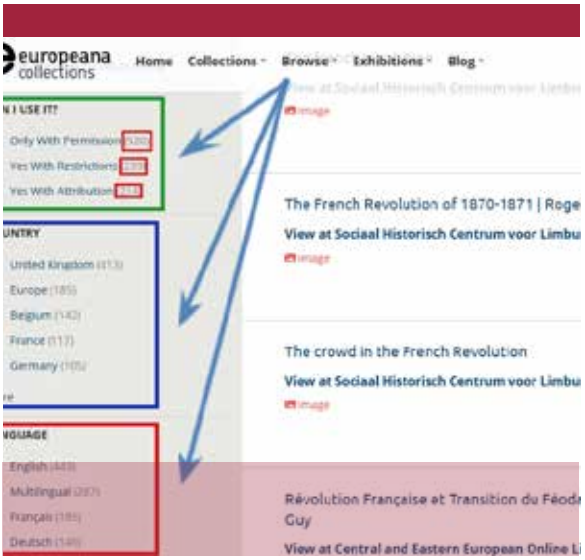

يقدم هذا الرسم التوضيحي شروط استخدام المواد والبلد واللغة.

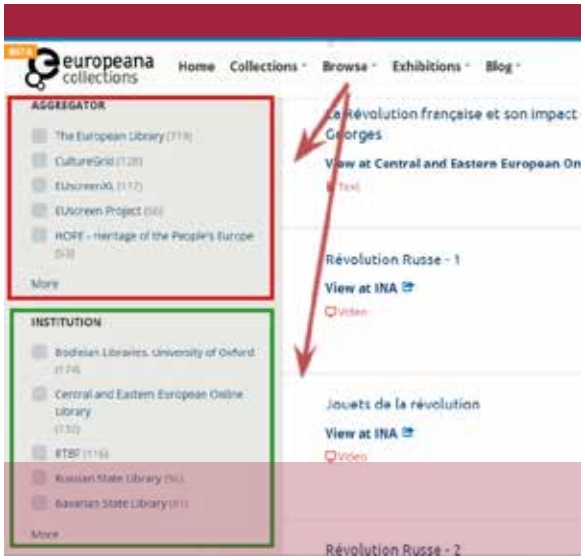

يقدّم هذا الرسم المؤسّسات التي تمتلك المواد المتعلقة بالبحث. ومع كلّ مادة، هناك وصف لها. ومن خلال «يوروبيانا»، يمكننا أن نرى التسجيلة المتعلقة بالمادة، وهي تحيلنا أيضًا إلى موقع المؤسّسة التي تحتفظ بالمادة:

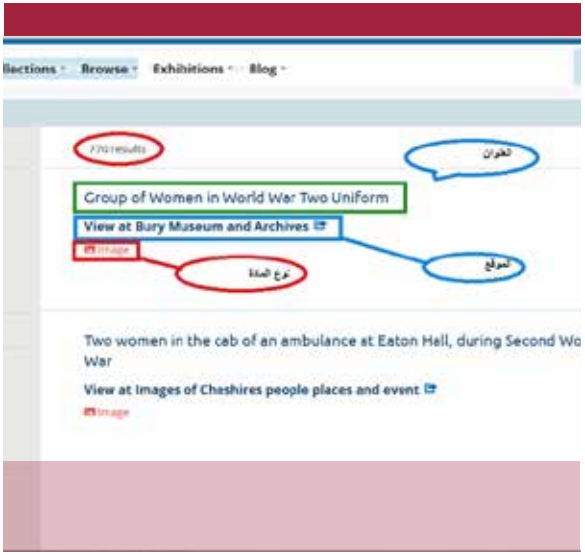

هذا الرسم التوضيحي يقدم العنوان واسم المؤسسة الحافظة ونوع المادة.

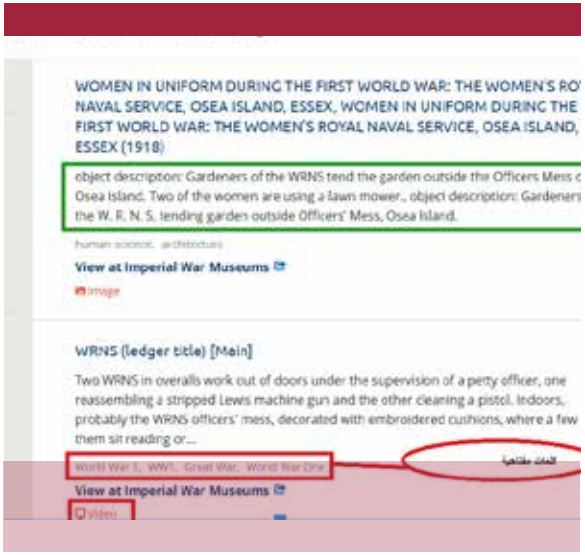

يقدم هذا الرسم التوضيحي نموذجاً حول عرض «وصف المادة» و«الكلمات المفتاحية»

المراجع:

1. انظر:

Zorich, Diane, Günter Waibel, and Ricky Erway (2008). Beyond the silos of the LAMs: collaboration among libraries, archives and museums. Dublin, Ohio: OCLC Programs and Research.

2. انظر:

Waibel, Günter, and Ricky Erway (2009). Think Global, Act Local - Library, Archive and Museum Collaboration. Dublin, Ohio: OCLC Programs and Research.

3. انظر:

Novia, Jennifer (2012). Library, Archival and Museum (LAM) Collaboration: Driving Forces and Recent Trends. The Journal of the New Members Round Table, Volume 3 (Number 1).

4. انظر:

Sanderhoff, Merete. 2014. Sharing is Caring. Copenhagen:Statens Museum for Kunst.

5. انظر:

Hedstrom, Margaret, and John Leslie King. On the LAM: Library, Archive, and Museum Collections in the Creation and Maintenance of Knowledge Communities.

6. انظر:

Trant, J. (2009). Emerging Convergence? Thoughts on museums, archives, libraries and professional training. Museum Management and Curatorship, Vol. 24 (no. 4), pp. 369386-.

7. انظر:

Higgins, Sarah.Digital Curation: The Challenge Driving Convergence across Memory Institutions.

8. انظر:

Rovatti-Leonard, Angela (2014). The mobile LAM (Library, Archive & Museum): New Space for Engagement. Young Adult Library Services

[1] لمراجعة عمل الرابحين، انظر:

http://www.mixandmash.org.nz/showcase/supreme-award-november showcasestudent-award

[2] لمراجعة عمل الرابحين، انظر:

http://dp.la/info/201508/12//meet-the-winners-of-gif-it-up-2015/

* لمراجعة أرشيف الصور التي تم إعادة استخدامها، انظر:

http://gifitup2015.tumblr.com/

دوايتي

قنبيق

الى جناب ذى الرفعة الشيخ عبدالله المالى حرسه الله

الهادى لتحرير مرسومنا هذا هو انه بناءً على ما فهم من كفايتك وكفاءتك ولياقتك قد عينتك الولاية الجليلة وكلفناك عن قائمقام قضاء القطر وكتبت الكيفية لتصرف لواء نجد فاللازم عليك حسبما تقتضيه صداقتك وحميتك الدينية ان تبذل مزيد الاهتمام وتصرف السعى التام لحسن تمشية امور القضاء وتكثير العمائر وابراز الصداقة والخدمات الحسنة واستجلاب الدوعة الخيرية من الالسن العمومية لجلالة الحضرة الملوكية ايدها رب البرية وان تعرف الولاية بما يقتضى اشعاره من الامور المهمة والحوادث الملمة وتلازم مسلك الصداقة ومنهج الانقياد والاطاعة وفقاً للرضاء العالى وقد اسقط هذا البيورلدى من مقامنا والى ولاية البصرة الجليلة اعلاناً بمأموريتك والسلام

اصول ١٢٧٩ وما بعدها ١٢٧٩ والى ولاية البصرة

وثيقة وحكاية

من والي البصرة إلى «قائمقامية» الدوحة
العلاقات العربية - التركية

د. محمد السلمان

منذ نشوء الدّولة العثمانيّة، ثمّ اجتياحها معظم أراضي العالم العربيّ في القرن السادس عشر للميلاد من بوابة شمال الشّام، تأرجحت العلاقة فيما بينها بين مدٍّ وجزر، وهيمنة وسيطرة، وتماثل وتضادّ، وتعاون وتنافر، وخضوع وتمرد، غلّفتها سنوات من النزاعات والصراعات، بالعسكر تارة، وبالنفاق الدبلوماسي تارة، وبالاستسلام والخنوع المباشر من قبل بعض الحكام تارةً أخرى، مسايرةً للوضع، واستفادةً من الباب العالي القابع في «اسطنبول» وعطاياه ومنحه العالية من مراكزَ وألقابٍ من مثل الباشا، والبيك، والوالي، والمتصرف، والقائمقام، وغيرها.

وثيقتنا لهذا العدد تدور حول اللقب الأخير، وهو «القائمقام»، الذي كثُر استخدامه بين نواب الدّولة العثمانيّة من الأمراء والشيوخ وحكام العرب الصغار، على امتداد مساحة الوطن العربيّ جغرافياً في تلك الفترة.

بدايةً، قبل قراءة الوثيقة والتعليق عليها، لا بدّ من معرفة معنى قائمّقام وقائمّقامية؛ فالقائمّقام هو من يقوم بالعمل في مقام ما، أو نيابة عن شخص آخر أعلى منه مرتبة، فهو مَسؤُول حكومي يتولى شؤون منطقة إدارية في البلد. وبالتالي، فإنّ القائمقاميّة هي مقاطعة إدارية يدير أعمالها ذاك القائمقام. كان هذا اللقب الوظيفي يُستخدم أيضاً للقادة العسكريين الأتراك في الإمبراطورية العثمانية، وهو رتبة عثمانية رفيعة، تمنحها الدولة لكبار الموظفين المدنيين وللقادة العسكريين، وتعادل رتبة عقيد أو عميد.

والوثيقة التي بين أيدينا، هي عبارة عن أمرٍ عثماني صادر عن والي البصرة عبد الرحمن حسن باشا في العام 1907م، بتعيين الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني ولي عهد أو «وكيلاً لقائمّقام قضاء القطر»، كما سمته الوثيقة، وتعني بذلك أنه

وكيل لوالده الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني، الذي يعتبر المؤسّس الثاني لقطر الحديثة، وهذا هو نص الوثيقة:

«إلى جناب ذي الرفعة الشيخ عبدالله بك الثاني حرسه الله، البادي لتحرير مرسومنا هذا، هو أنه بناء على ما فهم من كفايتك وأهليّتك ولياقتك، قد عينتك الولاية الجلية وكيلاً عن قائمقام قضاء القطر، وكتبت الكيفية لمتصرفية لواء نجد، فاللازم عليك حسبما تقتضيه صداقتك وحميتك الدينية، أن تبذل مزيد الاهتمام، وتصرف السعي التام لحسن تمشية أمور القضاء، وتسكين العشائر، وإبراز الصداقة والخدمات الحسنة، واستجلاب الأدعية الخيرية من الألسن العمومية لجلالة الحضرة الملوكية، أيدها رب البرية، وأن تعرّف الولاية بما يقتصّ إشعاره من الأمور المهمة، والحوادث الملمّة، وتلازم مسلك الصداقة، ومنهج الانقياد والطاعة، وفقاً للرضاء العالي. وقد سطر هذا البيدر لديّ من مقام وا لي البصرة الجلية، إعلانًا بمأموريتك والسلام.

11 شوال سنة 1325، و4 تشرين ثاني / نوفمبر سنة 1323

والي ولاية البصرة».

والسؤال الذي يبرز هنا: ما علاقة الأتراك العثمانيين بقطر؟ وكيف وصلوا إليها؟

بعودة سريعة إلى خلفية الموضوع، فإنَّ استيلاء العثمانيين في العام 1871م على إقليم الأحساء في شرق شبه الجزيرة العربية، بمساعدة بعض العشائر العراقية، من بينهم «المنتفق»، وبعض المقاتلين من القبائل العربية والسفن من الكويت، شكَّل بداية بسط السيطرة العثمانية على منطقة غرب الخليج، تحقيقاً لهدف بسط سلطان الباب العالي على الخليج وجزره من الكويت إلى مسقط. وكان مهندس هذه السيطرة والداعي إليها، هو مدحت باشا، الَّذي تقلّد منصب والي بغداد بين الأعوام 1869-1872. وكان من مبادئه، بسط نفوذ الآستانة على المناطق التي كانت تتبعها اسمياً، تعويضاً لها عن الخسائر الإقليميّة في شبه جزيرة البلقان الأوروبية.

كما كان يعتقد بأنّ تحقيق الانتعاش الداخليّ في الدولة العثمانية، لا يمكن أن يتحقّق إلا بضم ممتلكات جديدة في الخارج إليها، فضلاً على رغبته الملحة في مناوأة مركز الإنجليز في الخليج، فقد كان الرجل ينتمي إلى حركة الإصلاحيين في الإمبراطورية العثمانية التي أطلق عليها الأوروبيون، في تلك الفترة، لقب «الرجل المريض» ضمن نقاش المسألة الشرقية. وسرعان ما تم القضاء على هذا الرجل المريض بالإبرة المميتة، وبقطع أجهزة الإنعاش عنه، ما أدى إلى وفاته قسرياً وسريرياً خلال الحرب العالمية الأولى، بتوقيع بريطانيا وفرنسا.

أما لواء نجد، الَّذي تتحدَّث عنه الوثيقة، فقد كان يضمّ قضاء الهفوف والقطيف وقطر. والأخير هو مربط الفرس في الموضوع.

واختصارًا لأحداث التدخلات التركية في منطقة الخليج، فبعد أن وصلت الدولة العثمانية إلى غرضها من حملة الأحساء، بدأت تتطلَّع إلى مدِّ نفوذها نحو الساحل الجنوبي من الخليج، فأخذت تنظر أولاً نحو قطر، ومنحت الشيخ محمد آل ثاني في تموز/ يوليو 1871 لقب «قائمقام» لأول مرة، وسمحت له برفع الرايات العثمانية في شبه

جزيرة قطر. ثم أرسلت قوات تركية إلى الدوحة في شهر كانون الثاني/ يناير من العام 1872، بقيادة شيخ الكويت عبدالله الصباح، ضمت حوالى ثلاثمائة جندي مع مدفعية ميدان كبيرة، بقيادة ضابط برتبة رئيس أول، وأقامت هذه الحامية في إحدى القلاع العسكرية في الدوحة. وبهذا، بدأ أول شبه احتلال من قِبل الأتراك للإمارة، برره مدحت باشا، بأنه لم يرسل تلك القوات التركية بمدفعيتها إلا بناء على طلب من شيخ قطر أمام تهديدات بدو الأمير الوهابي المجاور لهم، رغم أنَّ بعض الكتابات الإنجليزية ذكرت أن الأتراك ووجِهوا بسخط من بعض الشيوخ والأهالي.

وسرعان ما أعلن الأتراك أنّ شبه جزيرة قطر «قائمقامية» تابعة إدارياً لمتصرّف الأحساء، ثم أرسلوا إليها قاضياً شرعياً تُجدد فترة قضائه كلّ عامين ونصف العام. هذا القاضي كان يتبع النظام التركي الإداري في مدينة القطيف، التي كانت دوائر محاكم العدل موجودة فيها، ومن هناك يتم إرسال القضاة إلى قطر والهفوف والعقير وغيرها.

ومع وصول الحكم التركي إلى المنطقة، أصبحت قطر «قائمقامية» تابعة للواء الأحساء، يحكمها متصرف يرجع في أموره إلى والي ولاية البصرة. كما عيّن الأتراك مديرين للإشراف على شؤون الموانئ في القطيف والعقير وقطر. وكان عدد سكّان قطر ساعة وصول العثمانيين إليها، حوالى عشرة آلاف نسمة، ضمتهم الـ«قائمقامية» مع بعض القرى الصغيرة التي يحكمها مدير يرجع في أموره إلى «قائمقام» قطر.

وكان المتصرف التركي في الهفوف يعتبر رئيساً للسلطة المدنية والعسكرية، وتقع تحت إمرته القوة العسكرية لسنجق الأحساء و«قائمقامية» قطر. كما وضعت فرقة مدفعية في الدوحة تخضع لقيادة الأحساء.

ويمكن قراءة اهتمام الأتراك بـ«القائمقاميات» كما هو في وثيقة قطر، إذ يتركّز على «السعي التام لحسن لضبط أمور القضاء، وإقرار العشائر في مستوطنات تجعلهم يرتبطون بالأرض، وإبراز الصداقة والخدمات الحسنة للدولة العثمانية، وتكرار الدعاء بالخير دائماً لجلالة الحضرة العثمانية. كما التركيز على نقل كل ما يخص قائمقامية قطر للوالي، وخصوصاً إشعاره عن الأمور المهمة، والحوادث الملمة بالسكان، وضرورة أن يلتزم الوكيل والقائمقام بمسلك الصداقة، ومنهج الانقياد والطاعة للدولة العثمانية، وفقاً لرضا الباب العالي».

ولم يكن التواجد التركي في قطر طيباً وجالباً السعادة لسكانها، بل فرض العثمانيون ضرائب باهظة عليهم، حتى إنَّ مدينة الدوحة وحدها كانت تدفع سنوياً مبلغاً يتراوح بين تسعة وعشرة آلاف «قران»، رغم أن عدد رجال الشرطة الأتراك كانوا لا يزيدون على خمسين رجلاً.

لذا، فإنَّ الشّيوخ من آل ثاني، الَّذين رحَّبوا بالوجود التركي في بدايته، كوسيلة لوقف الضغط البريطاني عليهم، قد ضاقوا به ذرعاً بعد ذلك. وكان الشيخ محمد بن ثاني على رأس المتبرمين من السيطرة التركية في العام 1875، وبقي يفكّر في كيفية التحرر من أغلالها، إلا أنه كان يخشى أن تبدر منه أية بادرة توحي بذلك، وتؤدي في نهاية الأمر إلى ترحيله إلى اسطنبول، ونفيه إليها لفترة غير محدودة. وهذا الشعور ربما حدا بالسلطات التركية إلى منح ابنه الطموح جاسم، الَّذي استمر في تعاونه مع الأتراك، لقب «قائمقام» قطر في العام 1876.

ورغم ذلك، لم يفلح هذا الأمر في تغيير الولاء نحو الأفضل، من قِبل شيوخ قطر نحو الأتراك، فقد اتّسمت السنوات الممتدة من 1893 إلى العام 1913، بتغير واضح في سياسة الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني، والد عبدالله صاحب الوثيقة، فقد تحوَّل بولائه من الدولة العثمانية إلى الحكومة البريطانية. وسار ولده الوكيل، الشيخ عبدالله بن جاسم، على دربه حين تسلّم السلطة قُبيل الحرب العالمية الأولى، (1913-1949م)، ما ساهم في نهاية الوجود التركي في شبه جزيرة قطر، وبقي حاكماً لها حتى توفي في العام 1957م.

د. محمّد السّلمان: باحث بحريني متخصّص في التاريخ، أعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة هال البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج. صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.
للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com

المراجع:

1. القريني، محمد بن موسى، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء، 1288-1331/ 1871-1913، الرياض، 1426هـ.
2. السعدون، خالد حمود، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة خلال الحكم العثماني الأخير والاحتلال البريطاني، بيروت، 2006م.
3. المنصور، عبدالعزيز محمد، التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين 1868-1916، الطبعة 2، الكويت، 1980م.
4. القحطاني، حمد محمد، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء 1288-1331هـ/ 1871-1913م، الكويت، 2012م.

ذاكرة الصورة

التأريخ بالصّور: الشّوير وبيروت مثالًا

عبد الرحمن جاسم

لا شيء أصعب من التأريخ البصريّ على الورق، فالورق، حتى وإن كان «صورًا»، لا يستطيع أرشفة تاريخٍ بصري لجغرافيا كاملة. على الرغم من ذلك، يأتي جهد الباحث بدر الحاج كبيرًا في كتابيه «الشوير وتلالها: سجلٌ مصوّر» (287 صفحة) و«بيروت: ضوءٌ على ورق 1850-1915» (170 صفحة من القطع الكبير)، الصادرين عن دار كتب، ويستحقّ المشاهدة والمتابعة.

منطقيًا، يحاول الحاج أن يقرب صورة المكانين من عيون المشاهدين/ القرّاء، ولكنه في الوقت نفسه، يقارب البعد التاريخي للمنطقتين (بيروت العاصمة اللبنانية، والشوير وتلالها)، ولو أنّه كان مباشرًا أكثر في الكتاب الأوّل، حين أشار إلى أنه «سجلٌّ مصوّر»، فيما أبقى الثاني تحت عنوانٍ جانبيّ دراميّ - ولو أنّه قارب الفكرة ذاتها - أقرب إلى الشعرية؛ «ضوء على ورق».

الشّوير.. رسمُ التاريخ

لا ينسى الحاج، ومنذ اللحظة الأولى، أن يهدي كتاب «الشوير» لسعادة (أنطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي ومؤسِّسه، اغتيل في العام 1949)، لأنه كان الدافع الشخصي لاختيار البحث في تاريخ تلك المنطقة، ولكنه مع ذلك، يشير إلى أنّ السبب «العام» في تناول هذه المنطقة تحديدًا، وليس غيرها، هو «غناها» بالصور فقط لا غير. يضيف الحاج - بعد ذلك - في مقدّمة الكتاب شرحًا باللغتين العربية والإنجليزية: «لا أدَّعي مطلقًا أن هذا الملفّ المصوّر هو الكلمة الفصل في توثيق البلدة فوتوغرافيًا، لكنه بالتأكيد اللبنة الأولى في هذا المجال»، مشيرًا إلى مصادر الكتاب التي تنوّعت بين صورٍ لمصورين أجانب ومحليين ومغتربين.

يشرح الكاتب أنَّ فكرة الكتاب راودته في العام 1988: «حصلتُ على مجموعة تفوق المائة صفيحة زجاجية مصوّرة، تقدمة من السيد وليم وديع مجاعص، كان قد التقطها والده في الشوير»، وكانت طريقة «الزجاجيات» واحدة من أكثر الطرق شهرةً في تلك الحقبة الزمنية، لكنَّ عدد الصور لم يكن كافيًا لتحويل الأمر إلى كتاب، لذلك سرعان ما بدأ حملته لجمع بطاقاتٍ بريدية قديمة عن الشوير، وذلك أيضًا لم يكن كافيًا، إلى أن أتت الفرصة عندما ظهرت مجموعة للبيع من مئات الزجاجيات المصوّرة التي التقطها المصوّر نسيب نصر خنيصر. هكذا، شكَّلت المجموعتان (مجموعة مجاعص، ومجموعة خنيصر) العمود الفقري الذي بُنيَ عليه العمل.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة، يقدّم في القسم الأوّل لمحة تاريخية «مقتضبة» عن الأوضاع في البلدة في النصف الأوّل من القرن الماضي، فيتناول الفترة الممتدة من العقد الأخير للقرن التاسع عشر إلى مطلع الستينات من القرن الماضي، فيما يتحدَّث في القسم الثاني عن المصورين أنفسهم، الّذين كوّنت صورهم أرشيف البحث. أما القسم الثالث، وهو الأكبر، فيضمّ صورًا وتعليقاتٍ منهجيَّة عليها.

من الجدير بالذكر أنَّ الباحث بدر الحاج حاول بكلّ ما أوتي من قوّة، أن يشير إلى أنَّ هذا البحث هو بحد ذاته مجرد «بداية» لتأريخ المنطقة - شفهيًا وصوريًا - وفيه «نواقص»، فلفت إلى «أنَّ العديد من مسنّي القرية الذين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين قد توفوا. لذلك، كان من الصَّعب جدًا التعرّف إلى كثير من الوجوه وبعض الأماكن، بسبب بُعد الفترة التي تفصلنا عن تاريخ التقاط تلك الصور».

صوريًا، يزخر الكتاب بالكثير من الصور التي قد يراها كثيرون للمرة الأولى، إذ يتناول المنطقة بأكملها جغرافيًا، بشريًا، وحتى اقتصاديًا. تزدان الصّور بالكثير من التفاصيل التي تأخذ المشاهد في رحلةٍ بصريةٍ خاصة إلى منطقة لبنانية تشبه جغرافيًا إلى حدٍ كبير المناطق الجغرافية المتقاربة في الوطن العربي (فلسطين، سوريا، لبنان)، فلا تختلف مثلًا صور الشوير عن كثير من القرى الفلسطينية (ذات الطبيعة المشابهة، كالمغار ودير القاسي وسواهما). الأمر نفسه ينسحب على صور الناس، إذ تشابهت في تلك المرحلة ثيابهم، فلباس الفقراء والطبقات العاملة (الفلاحون بدايةً) كان الشروال، فيما تزيّا رجال الطبقات المثقفة والغنية بثيابٍ أكثر «أوروبية»، كالبزات والقمصان. وقد بدا ذلك واضحًا في الصور الشخصية للأشخاص الواردين في الكتاب، وحتى في صور المصوّرين الشخصيّة.

ولم ينسَ الحاج المناسبات الاجتماعيَّة، فيمكن مشاهدة الأعراس والحفلات والتجمعات القروية الشويرية في العديد من الصفحات. كذلك يحفل الكتاب بالعديد من المنشورات التي رافقت تلك المرحلة الزمنية، ينشرها الكاتب شارحًا طبيعتها. وإذا نظر القارئ فيها مليًا، فإنه يلاحظ طبيعة اللغة المستعملة، التي تبدو «طفولية» إلى حدٍ كبير، لبساطتها وقلة تعقيدها في بعض الأماكن. سبب ذلك ربما، أنَّها كانت تحادث طبقات بسيطة قد لا تجيد القراءة ولا تفهم النصوص المعقّدة.

في المحصّلة، الكتاب هو جهدٌ جمعيٌ كبير في كتابٌ تأريخيّ جميل، يزدان بصورٍ واضحة مطبوعة بطريقة أنيقة وجيدة، مع شرحٍ وافٍ حولها، باللغتين العربيّة والإنكليزيّة.

بيروت.. ضوء صوريّ خاصّ

يختلف هذا الكتاب عن سابقه في أن لا يمتلك ربما البعد «الحميمي» ذاته الذي امتلكه «الشوير» بالنسبة إلى الباحث الحاج. يبدو ذلك من «الرسمية» التي تطالعك منذ البدايات، فهو أكثر شبهًا بالكتاب البحثي مقارنةً بسالفه. يظهر «فهرس» الكتاب مباشرةً في صفحته الخامسة، ولا مقدّمة فيه، كما في كتاب الشوير. هذا لا يعدُّ مشكلةً بالتأكيد، ولكنه يظهر أنّ المقدمة/ الرسالة في السابق، كانت تريد أن تسبق البحث، فيما تظهر هنا رسمية البحث ومباشرته كفعلٍ رئيس.

تشي المقدمةُ في حد ذاتها بالفعل ذاته: المباشرة والدقة. تشرح أسباب نشوء الكتاب، مع تفصيلٍ لأقسامه، من دون أي «مشاعر» خاصة من الكاتب/ الباحث، وبلا أي «تفاعل» من النوع الذي وجدناه في الشوير. هذا الكلام - كما أشرنا سابقًا - ليس مشكلةً بحثية للكتاب، ولا يجعله أقلّ أهمية، كما لا يقلّل من الجهد الكبير المبذول فيه، إذ يكفي أن ننظر إلى القسم الثاني منه، وهو الذي يتضمن صورًا لفتياتٍ عاريات (من استديوهات بيروت تحديدًا، كان الهدف من صورهن التسويق وتشويق الزبائن الأجانب)، لنفهم أهمية الكتاب. وهنا، يقول الحاج: «تمثل هذه الصور نموذجًا صارخًا للرؤية الاستشراقية للمرأة في بلادنا». ثمة نقطةٌ أخرى تثبت أهمية الكتاب، هي الخلاصة التي يصل إليها الكاتب حين يقول: «إذا أمعنا النظر الآن في هذه الصور (الملتقطة ما بين 1840 و1915)، يتبيّن لنا بشكل جازم أنَّ بيروت الأمس انتهت، ولا علاقة لها بما هي عليه اليوم. لقد تمّ تدمير النسيج العمراني المتناسق للمدينة بشكل شبه كامل بنجاح، وشُيِّدت على أنقاضه بسواعد العمال الفقراء، مدينةٌ لا علاقة لها بما كانت عليه بيروت سابقًا». هذه الفكرة في حد ذاتها، ربما تقارب بهذا المنطق «القاسي» و«المباشر» للمرة الأولى، وتظهر بوضوح تأثير «الغربنة» كما «التمدّن» بمنطقه «المتوحش» في بلادنا.

كعادة أغلب الكتب، تتناول الفصول الأولى (وهنا الفصل الأوّل تحديدًا) تاريخ المدينة المحكيّ عنها، وهو ما يسير عليه الكتاب، إذ يتناول تاريخ المدينة منذ نشوئها بشكلها المعروف. هنا، يتعرّف القارئ إلى بيروت المدينة الأصيلة كما نشأت، لا كما يراها ويعرفها الآن. الصّور تبدو مباشرةً لمدينة قلةٌ هم من يعرفونها؛ هي أقرب إلى مرفأ منها إلى أيِّ شيءٍ آخر. من هنا ربما كانت صور مرفأ المدينة أكثر من غيرها. لا يوجد صور كثيرة لمعالم مبهرة في المدينة. برج الساعة أمام السراي

الكبيرة أحد الاستثناءات. لكن هذا كله كان آخذًا بالتغير في تلك المرحلة الزمنية، إذ بدأت المدينة تتحول شيئًا فشيئًا ناحية دورها المعروف اليوم خلال عقودٍ زمنيةٍ قليلة.

في الفصل التالي، يتناول الباحث التصوير الفوتوغرافي في حدِّ ذاته، فيشرح كيفية وصوله إلى بيروت، وكيف أصبح مهمًا ومنتشرًا فيها عبر المصورين الأجانب الذين صوَّروا المدينة بكثافة (لأسبابٍ كثيرة)، وانتقل «سر المهنة» منهم إلى المصورين المحليين،كان أوّلهم المصور لويس صابونجي (1833-1931)، الذي قام بإطلاع شقيقه جورج على السرّ لاحقًا. طبعًا، ولأنَّ الكتاب ذو «توجّه»، وليس مجرد كتابٍ «صوري» لتأريخ المدينة فحسب، فإنه يتناول «الاستشراق» بأحد ملامحه الأساسية: «الاستغلال». الأمر الذي بدا في رسومات المستشرقين الأوائل سرعان ما انتقل إلى الفوتوغرافيين، «فالمرأة العارية أو شبه العارية، كما في أعمال (ليدي) بونفيس، و(تانكراد) دوما، و(إدوار) أوبان، تعرض جسدها أو قسمًا منه لعين الغربي، من أجل إغرائه وإشباع شهواته». طبعًا، يورد هنا واحدةً من أهم جمل الكتاب: «ليس مهمًا ما إذا كانت المرأة في تلك الصور مشرقية فعلًا أم لا، وليس مهمًا ما إذا كانت الصور قد أنتجت في بيروت أو في أوروبا»، (يشير في الكتاب إلى أنّ صور بونفيس وأوبان مثلًا، كانت لفتيات ذوات ملامح شرقية، دفع لهنّ مبالغ زهيدة لقاء وقوفهنّ أمام الكاميرا على تلك الهيئة، فيما صور دوما لا تحمل الملامح ذاتها). المهم إذًا «تسليع» المرأة الشرقية، و«بيعها» للغربيّ الَّذي سيأتي إلى هنا للبحث عن هذا «الكنز». وقبل ذلك، سيشتري الصورة «المثيرة» لفتاةٍ من بلادٍ بعيد.

يصل الكتاب إلى الفصل الثالث المكوّن من صورٍ مأخوذةٍ للمدينة، بعضها من مجموعة فؤاد دباس «مصورون في بيروت 1840-1918» (الصادر في باريس العام 2001)، فيما الجزء الأكبر هو لمصوّرين عرب وأجانب محترفين وهواة، أرخوا المدينة مع تحديدٍ فعلي لتواريخ هذه الصور، متجنبًا هذه المرة الصور المأخوذة عن بطاقاتٍ بريدية. تأتي الصور تأريخًا لحال المدينة، تصويرًا له، ومثل الكتاب السابق، كانت مطبوعة بطريقة أنيقة وواضحة ومشروحة ومؤرخة. تظهر التصاوير المعتمدة الكثير من حياة المدينة اليومية، ومن ثياب الناس وأشكالهم، وكذلك طريقة عيشهم وسلوكهم اليومي. هنا، وعند مقارنتها بتلك الصور الموجودة في كتاب الشوير، تظهر حيواتٌ مختلفةٌ إلى حدٍ كبير، بين قرية لا يزورها أجانبٌ كثر، ومدينة تعجّ بالراحلين والقادمين؛ مدينة هي مرفأٌ قبل أيِّ شيء.

في الختام، الكتاب بحثيّ متميّز، يمتاز بالكثير من الصور التي توضح طبيعة مدينةٍ لا تشبه - كما يشير الكاتب تحديدًا - ماهية بيروت الحياتية اليوم. إنّه كتابٌ تحتاجه المكتبة العربية بشدة، وهو مع كتاب «الشوير»، يقدمان الكثير للمكتبة العربية التي تفتقد بشكلٍ كلّيّ إلى أبحاثٍ مشابهة.

عبد الرحمن جاسم: كاتب وصحافي فلسطيني. يحمل شهادتي ماجستير في المسرح وعلم النفس. وهو مدرّب في مجال الكتابة الإبداعية.
للتواصل عبر الإيميل: abdalrhmanjasim@gmail.com

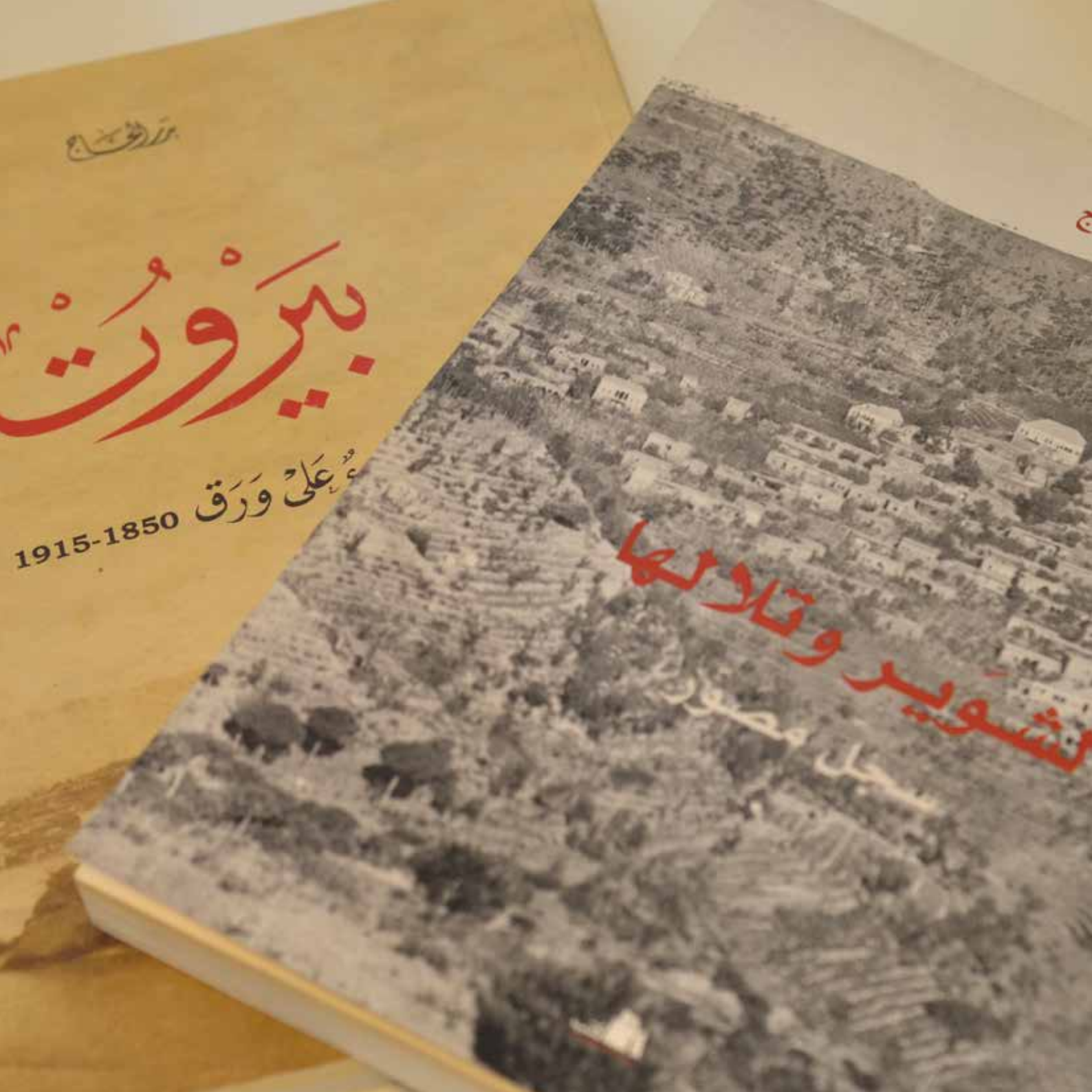
بيروت
على ورق
1915-1850
تشوير وتلاوتها

حي النعيم.. حسراتٌ في نفوس كرام

إبراهيم حسن إبراهيم صالح

يثير الحديث عن «حي النعيم» في النفس الكثير من الذكريات الممزوجة بكمٍّ من الألم والحسرة. عرفت الحيّ مذ كنت طفلاً صغيراً في أواخر خمسينات القرن الماضي، حين قام جدي المرحوم الحاج حماد بن أحمد بن حماد بن علي بن سلطان بن حماد (المتوفى سنة 58م)، وهو أحد نواخذة الغوص المشهورين في قرية الدير، بالاتفاق مع أحد صناع السفن، على صناعة سفينة صغيرة «لنج» لصيد الأسماك.

كنت أرافق خالي كلّ فترة لزيارة موقع السفينة والاطلاع على سير العمل فيها. وكنت أشاهد عشرات الورش «العماير» لصناعة السفن، وأستمع إلى ضرب المطارق على المسامير بطريقة أقرب إلى عزف فرقة موسيقية. تطورت هذه العلاقة مع شرائهم سفينة أخرى أكبر حجماً، بعد بيع الأولى في منتصف ستينات القرن الماضي. وفي العام 1973م، قاموا بشراء سفينة أكبر، أطلقوا عليها اسم «الجامبو»، لأنها كانت أكبر سفينة في القرية.

لا زلت أذكر القلاليف الذين تعامل معهم جدي لصناعة السفن الثلاث؛ فالمرحوم الحاج أحمد بن عبد العزيز صنع السفينة الأولى في منتصف الخمسينات من القرن الماضي، بينما تولّى المرحوم «أبو علي» صنع السفينة الثانية في ستينات القرن الماضي. وكانت السفينة الثالثة، من صنع المرحوم الحاج أحمد بن عبد العزيز.

ومن ذاكرة التاريخ، أنهم اشتروا من النعيم، في العام 1915م تقريباً، سفينة للغوص «جالبوت»، أطلقوا عليها اسم «الموتر»، نظراً إلى سرعتها، كما اتفقوا مع أحد صناع السفن، على صناعة «بوم» لصيد الأسماك في مطلع ثلاثينات القرن الماضي، استمرّ العمل به إلى أواخر الخمسينات من القرن الماضي، ثم جرى تجديفه على الساحل بعد أن دخلت الآلات في سوق العمل، وأخذت شمس السفن الشراعية بالغياب.

والحديث عن «حي النعيم»، لا يخلو أيضاً من الحسرة والألم، ولا سيما عندما ترى تراث وطن وتاريخ شعب يضيع عمداً وعن سبق إصرار وترصد، في محاولة لسلب الشّعب ذاكرته؛ إنه أمر يثير الشجن والأسى، أن يُبعد الأصيل عن مهنته، ويتسلّط عليها المتطفّل الدخيل.

عرفت المنطقة هذه الصناعة منذ آلاف السنين، وانطلق منها صُنّاع السفن «القلاليف» إلى أكثر من منطقة في الخليج، من أشهرها الكويت، حيث أسهموا في بناء أكبر أسطول بحري تجاري في منطقة الخليج، استمرّ العمل به إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما زالت نماذج من تلك السفن موجودة. وما احترق منها أثناء الغزو الصدامي للكويت، أعيد بناؤه بأمر من أمير الكويت الراحل، الشيخ جابر الأحمد الصباح. وللقلاليف في الكويت مكانتهم؛ فلهم ديوانية معروفة وقرية تراثية تحت إشراف الدولة، يزورها السّياح ليطّلعوا على سير عملهم.

لقد توفّر لمنطقة النعيم موقع مثاليّ ورجال حافظوا على هذه المهنة جيلاً بعد جيل. فعلى يمين النعيم، مرسى للسفن شمال المنامة، قبل إنشاء الفرضة بمئات السنين، حيث كانت الأخشاب تُجلب من الهند ومن السواحل الشرقية للقارة الأفريقية. وتقع في شمالها مزارع شارع البديع، التي تمدّ ورش صناعة السفن بالكثير من الأخشاب التي تستخدم في عملية الربط «الأضلاع»، مثل «الشلامين» و«العطف»، وهناك سوق الحدادة في المنامة، يمدّهم بما يحتاجونه من مسامير وقطع حديدية أخرى. كلّ ذلك جعل من النعيم مصنعاً يزوّد البحرين وغيرها الكثير من مناطق الخليج، بشتّى أنواع السفن، على اختلاف أحجامها واستخداماتها.

النّعيم قطعة ذهبيّة من تاريخ هذا الوطن الغالي، لا بدّ من كشف كنوزها والحفاظ على تاريخها، وخصوصاً في هذه المرحلة؛ مرحلة التزوير وقلب الحقائق، والوضع والتدليس!

إبراهيم حسن إبراهيم صالح: كاتب ومدون بحريني مهتم بقضايا التّراث. حائز على دبلوم المعهد العالي للمعلمين، ومختص باللغة العربية والتربية الإسلامية.

للتواصل عبر الإيميل: ebrahimhasan860@gmail.com

fb/Qadiman

بيروت القديمة استقلَّت الترامواي ورحلت إلى اللاعودة

تغريد الزناتي

من فرن الشباك إلى ساحة الشهداء، ثم عين المريسة نحو شارع الحمراء، لا شيء يبدو كما كان عليه. «من زمان كانت أحلى». هي العبارة الَّتي يتوحَّد عليها اللبنانيون، كباراً ممن عايشوها قبل الحرب الأهلية (1975-1990)، وشباناً ممن ولدوا بعد الحرب بسنين.

بين الأمس واليوم، الصورة كفيلة بإظهار وجه المدينة الَّذي غيّرت الحرب الأهلية معالمه، ولم تستطع السنين، ولا الأبنية الحديثة الشاهقة، تعويض خسارته.

بيروت، أو «سويسرا الشرق»، كما يحلو للبنانيين تسميتها، لم تستطع استعادة بريقها الستينيّ بعد سنوات طوال من الحرب والدمار. تمَّت هندسة مبانٍ شاهقة فيها، وجرى تكديس كميات هائلة من الحديد والباطون في وسطها وعلى أطرافها، ووُضعت خطط خبيثة لردم البحر، واستثمار الواجهة البحرية، والقضاء على الأملاك العامة والمساحات الخضراء.

يحنُّ اللبنانيون دوماً إلى «ساحة البرج» (ساحة الشهداء - وسط بيروت)، حيث كان المتسوقون يزدحمون في المحال التجارية وأمام البسطات. تحولت السوق الشعبية في المنطقة إلى سوق «برجوازي» للماركات العالمية الباهظة الثمن، فاتّجه المواطنون إلى أسواق تشبههم أكثر، وأخذوا يهجرون وسط العاصمة خطوةً خطوة.

لم يعد لسينما «ريفولي» وجود، وخسرت وسط الساحة أشجارها. تعطَّلت خدمات النقل العام، وهُمّش التجار الصغار، وباتوا يرزحون تحت وطأة أصحاب رؤوس الأموال الضخمة.

وسط بيروت السبعينيات كمان وكمان

ترمواي بيروت الخمسينيات، خط فرن الشباك - المنارة

صورة شبه نادرة لليل بيروت الستينيات من مجموعة أحد السياح الأجانب آنذاك

مصدر الصّور في المقال هو صفحة "قديمًا"، في الفايسبوك.

أصيبت المدينة بريق الحداثة المصطنع، ولبست ثوب الحضارة بهوية جديدة. أُغلقت بعض المسارح، وتقلَّصت دور السينما. تعطَّلت المواصلات العامّة، وصدأت سكة الحديد. اختفى البائعون المتواضعون شيئاً فشيئاً لحساب كبار التجار والشركات الأجنبية. نما الاحتكار، وازدهرت الاقتصادات الأحادية الأقطاب. تقلَّص حجم الطبقة الوسطى، وتغيَّرت معالم المدينة.

لم تنل التطورات الاقتصادية والاستثمارات الأجنبية من الأسواق الشعبية فحسب، بل تمادت أيضًا لتطال واجهة المدينة البحريَّة. ما عاد بإمكانك التّمتّع برائحة البحر من شرفة فندق «فينيسيا». تكاد لا تستطيع تذوّق ملوحة هوائه! ومن يدري، ربما لو استطاع المستثمرون الن~يل من عزيمة مالكي فندق «السان جورج» في الجهة المقابلة، للاستيلاء عليه، لكان الردم قد امتدّ أمتاراً إضافية، حتى يخيَّل إلينا أننا أمام مدينة جديدة فوق سطح البحر!

في المنطقة نفسها، وعلى بعد أمتار من «السان جورج»، كان «حي الزيتونة». في هذه البقعة، كان الأطفال يلهون أيام الصّيف. «حي الزيتونة» الشّهير، بات اليوم يُعرف اليوم بالمقاهي الأجنبيَّة التي تتوجّه إلى أصحاب الدخل المرتفع، في مساحةٍ أصبح يُطلق عليها اسم «زيتونة باي».

يستغرب البيروتي القديم مدينته التي ما عادت تشبهه. يراها اليوم تجتهد لنيل إعجاب السائح الأجنبي دون سكانها الأصليين. هي باردة ومتعجرفة في بعض الأحيان، ولكنَّ اللبناني يفتخر في كلّ الأحوال بسمعتها الحسنة بين الدول العربية. ما يطلبه فقط هو الشعور بالانتماء إليها.

هي عاصمته، والعاصمة واحدة أبداً. لا يمكن الحصول على غيرها في حال فقدانها!

تغريد الزناتي: حائزة على ماجستير في الإدارة والمعلومات، وتعمل في قسم أرشيف جريدة الأخبار اللبنانية منذ العام 2013.
للتواصل عبر الإيميل: taghridzinaty@hotmail.com

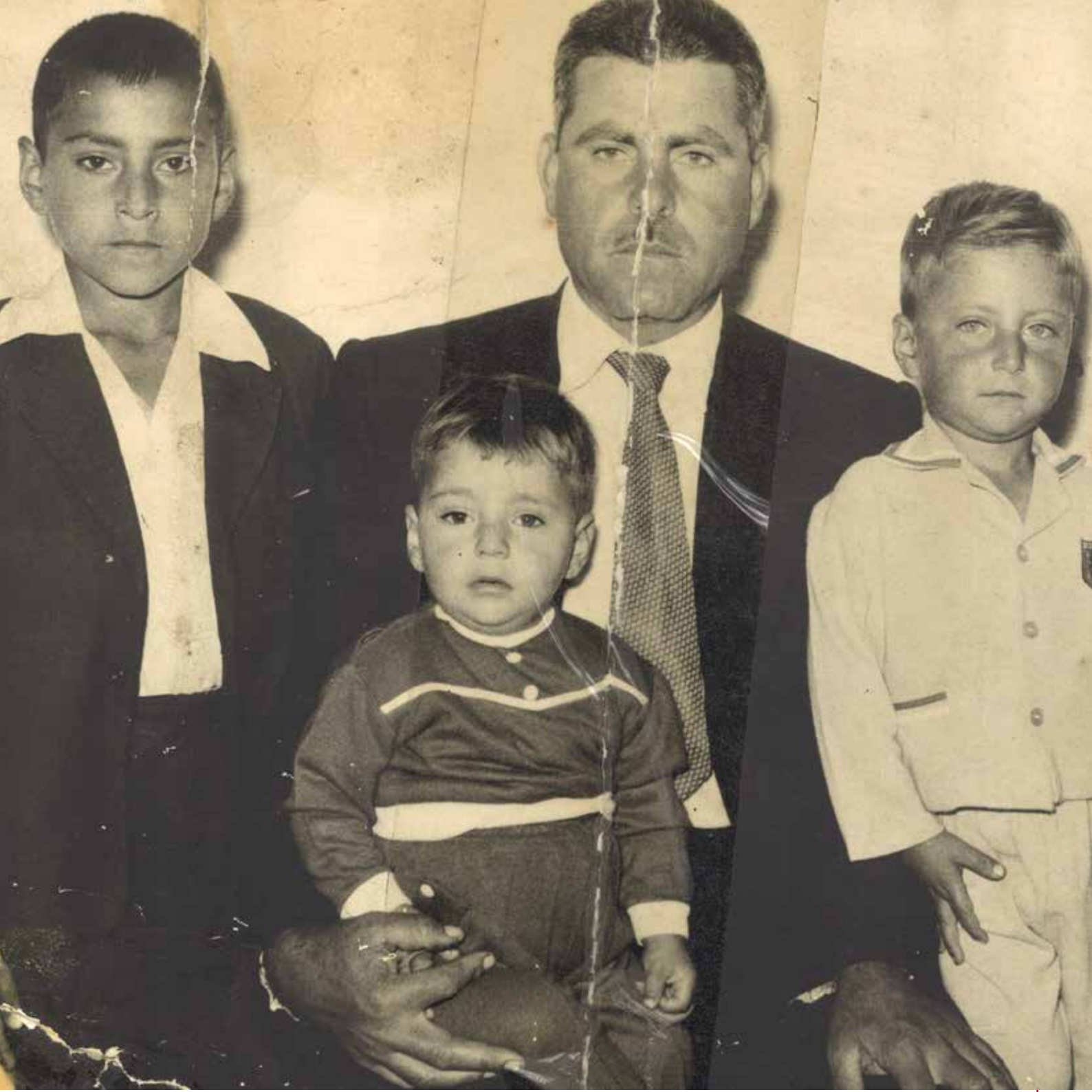

كشكول

تجربتي مع التّاريخ الشّفهي

تهاني نصّار

وبّختني جدتي «سودة» إحدى المرات، لأنّني لم أحضر لها «زردة» و«خشوقة»، كما أمرتني. لماذا لم ألبِّ طلبها؟ ليس هناك سبب يجعلني أفعل ذلك، سوى أنني لم أفهم ما كانت تقصده! تسمّرت في مكاني منتظرةً منها أن تشرح لي، لكنَّها لم تفعل. نظرتْ إليّ بطرف عينيها، وصرخت بي: «ولك ليش بعدك واقفة عندك، تحركي جيبي الزلفة». هرولت إلى المطبخ، وحدَّقت بعجل في كلِّ شيء حطَّت عيناي عليه؛ على البراد ذي القاعدة الصّدئة، ربطة الخبز الموجودة على الطاولة، أواني الطعام الموضوعة عشوائيًا فوق المجلى. رجعتُ إلى «سودة» فارغة اليدين، فسألتني بحدّة: «ليش راجعة عم بتطوطحي»؟ فأخبرتها أنني لم أجد الأشياء التي طلبتها مني.

يومها، أدركت أنَّ هناك مشكلةً حقيقيّةً، لا لأنني نلت نصيبي من غضب «سودة»، بل لأنني لم أستوعب المصطلحات الَّتي استعملتها. كان طلبها عاديًا جدًا؛ أرادت أن أحضر لها صحن الأرز المحلّى وملعقة! لست الوحيدة التي لم تفهم تلك الكلمات. سألت أختي الأكبر سنًا مني وأبناء عمّي الَّذين كانوا يسكنون معنا في الدّار نفسه، لكنني لم أجد إجابة لدى أيٍّ منهم. حُفِرت هذه الحادثة في ذهني، وأصبحت علامةً من ذكريات طفولتي، لكنها لم تكن الوحيدة.

بعد عدّة سنوات، جاء أقارب جدّي من داريّا والدامور للاطمئنان عليه، عندما علموا أنه أمضى ليلتين في المستشفى، إثر انزلاق قدمه حين كان يرفع «تنكات» (صفائح) زيت الزيتون إلى شاحنة صغيرة، الأمر الذي أحدث ألمًا شديدًا في ركبته اليسرى. يومها، نزلت وأخوتي إلى الدار لنتعرف إلى أقاربنا ونرحّب بهم، جريًا على العادات والتقاليد السائدة. سمعت أحد الحاضرين، وهو ابن عم جدي، يقول: «إسا هاي الإصابة إجت على نفس الركبة اللي كان فيها الطلقة؟». هنا، توقَّف الزمن لوهلة. هرعت إلى أبي وسألته عن حكاية الرصاصة،

فأخبرني أنَّ جدي تعرّض لإطلاق نار في فلسطين، لكنّه لم يزودني بتفاصيل أكثر حينذاك.

كانت تلك الحادثة سببًا آخر جعلني أدرك ضرورة تدوين تاريخ عائلتي الشفهي وحفظه. أحسست أنَّ هناك الكثير من العادات والمصطلحات الّتي تميّز ثقافتنا الفلسطينيّة، وخصوصًا أنَّ جدي حيدر، ابن قرية كويكات التابعة لقضاء مدينة عكا البحرية، نزح باتجاه لبنان في عام النكبة، رجلًا في الرابعة والعشرين من عمره، مع جدتي وطفلتهما أمينة، ما يعني أنّ في مخزونهم العديد من الذكريات التي تستحق أن تُدوَّن، كحاكورة جدتي وحيواناتها، والبيت الذي سكنوا فيه، والأعمال التي كانوا يقومون بها في القرية، وغيرها من الأمور الخاصّة بأهل بلدتي والقرى المجاورة لها.

هي حمى أصابتني في يومٍ من الأيام. اضطرب نومي، وبتّ أشعر بمسؤوليّة تجاه تاريخ عائلتي، لشدّة ما فكّرت في الأمر، وكرّرت أنّ على أحد ما تدوين هذه الذكريات، وزاد على روحي وفاة عمي عاطف (هو فعلياً عمّ أبي، لكنّنا نطلق عليه لقب «عمّنا»)، وعمّتي مريم (عمة أبي أيضًا). حينها، رأيت جدي دامع العينين، مكسور الخاطر، يردّد: «كلّ جيلنا عم يروح، ولاد فلسطين عم يروحوا، ما ظلّش (لم يبقَ) في حدا». علمت حينذاك أن عليَّ البدء، قدر المستطاع، بنقل تاريخ عائلتي إلى العالم، فالجميع يعرف أن كويكات صمدت أمام نابليون بونابرت منذ قرون، وأنَّ عصابات الهاغانا الصهيونية احتلّتها في القرن الماضي، لكن لا يعلم أحد كيف كان يعيش سكانها فعليًا قبل النكبة وخلالها. لا يعلم كثيرون كيف بنى جدي بيته، وماذا عمل ليحصّل نقود الزواج، وكم تحمّل حماره من صناديق الزيتون والتين لسنوات من الكويكات إلى حيفا!

أخذت أكتب كلّ ما أسمعه من جدي من تواريخ وأحداث كلّما زرت دار «سيّدي»، وصرتُ أسأل أمي وأبي عنها فيما بعد. سجّلت أيضًا بضع ساعات من الفيديو مع جدي في آخر أيامه الّتي جعلته يتعلّق بالذكريات الطَّويلة الأمد. حينها، لم يكن يميّز أيّ بنت من أبناء ياسر (والدي) سواي! وكأنّه كان يتعمّد نقل تاريخه إليّ، وبخاصَّة في الزيارة التي أخبرني خلالها عن مغامراته في التسلل إلى فلسطين بين العام 1948 والعام 1953، ولماذا كان جميع من عرفه يطلق عليه لقب «الأمين»، وعن العميل الَّذي بلّغ الصهاينة عنه، فكانت النتيجة إصابته برصاصة في ركبته، وسجنه لمدة عامين تقريبًا. اكتشفت أنّ جدّي - أو سيّدي كما ندعوه - كان بطلًا حقيقيًا. ومنذ ذلك اليوم، أصبحت كلمة «سيدي» تعني لي الكثير.

بعدها، قمت بعدة زيارات لأشخاص من قريتي، يسكنون في مخيّمي (مخيم برج البراجنة، أكبر مخيمات العاصمة بيروت). وهناك تعرّفت إلى قصّة «الجفرا»، وكيف أضحت أسطورةً في حكاياتنا الشعبيّة، وذهلت عندما علمت من هي جفرا في الحقيقة. إنَّها رفيقة الحسن، ابنة كويكات. أكثر من ذلك، اكتشفت أنني كنت أعرف ابنتها في صغري، لكنَّني لم أعلم ذلك إلا بعد سنوات عديدة. ثم قابلت الشاعر الفلسطيني عز الدين مناصرة، الَّذي كان أول من بحث في موضوع الجفرا، بعد أن بقيت سرًا من أسرار كويكات لما يقارب أربعة عقود.

لم يكن الأمر سهلًا عليّ. كنت أرجع إلى البيت مثقلةً بالقصص والدّموع. نعم، بكيت مرات متتالية لأحداث مؤلمة حصلت مع جدَّي وحزنتُ عليهما؛ كيف شاء القدر أن يخرجا من قرية كانت لهما الأرض والملاذ، إلى مخيّم لا يزال يفتقر إلى مقومات الحياة الأساسيّة حتى يومنا هذا. ليس خروجهما من كويكات

هو المؤلم فقط، بل حقيقة أنّ الصّهاينة دمّروا القرية لإخفاء تاريخها ومحو كلّ ما يثبت أن ثمة حياةً بأكملها كانت هناك!

حزنتُ على فلسطينيي الجيل الجديد، الَّذين لا يدركون أهميّة تاريخهم وجمال تراثهم، ويغرقون في مشاكل حياتهم اليوميّة. كلّ هذا شكّل لديّ دافعًا للاستمرار في كتابة التاريخ الشفهي لعائلتي، لكويكات، لكلّ فلسطين.

تهاني نصّار: أستاذة جامعية وصحافية فلسطينية. حائزة على إجازة في فنون التواصل وماجستير في الإدارة التربوية. كتبت سلسلة «حكايات ستي» في جريدة الأخبار اللبنانية، ونشرت مقالات عديدة في مواقع إلكترونية مختلفة.

للتواصل عبر الإيميل: tahaninassar@hotmail.com

التاريخ الشّفهي: خصوصيّته كمدخل للتعرّف إلى تاريخ أفريقيا السّوداء

غنى مونّس

لطالما عانت أفريقيا من الغبن والتّهميش على مستوى كتابة التّاريخ، ويعود ذلك إلى غياب الوثائق المكتوبة، فكان تاريخ القارة السوداء بعيدًا عن أن يكون معروفًا، وذلك لعدم إتقان أهلها الكتابة، أو لكونهم لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء كتابة مجموعة من النصوص المؤرخة التي تسمح برسم مسار الأحداث. وبالتّالي، كانت الدّراسات القيمة بشأن أفريقيا نادرة أو حتى غائبة «بسبب تأثير الاستعمار، الذي كان يعارض أيّ حياة ثقافية أفريقية خصوصًا، وأيّ إحياء حقيقي للقيم الأفريقية».

ونادرة هي المصادر المتوفرة في هذا المجال، لذلك عكف المؤرخون على البحث عن المصادر غير المكتوبة واللّجوء إليها، بهدف اكتشاف آفاق أوسع، وطرح أسئلة لم تكن قد خطرت ربما على بال أسلافهم، فأغلب المصادر المكتوبة عن هذه البلاد، كُتِبت على يد البيض، وهو أمر لا يصبّ في صالح الحقيقة التّاريخية، ولا سيما أن أغلبهم كان موجودًا بصورة استعمارية، وكان ذلك بارزًا في كتاباتهم التي أرّخوا فيها تلك الفترة، فبرزت أحكام

لجأ المؤرخون إلى التّراث الشفهي للبلدان الأفريقية، معتمدين عليه بوصفه أحد أبرز الطرق التي يمكنها الإضاءة على الشوائب الملحوظة في الوثائق المكتوبة.

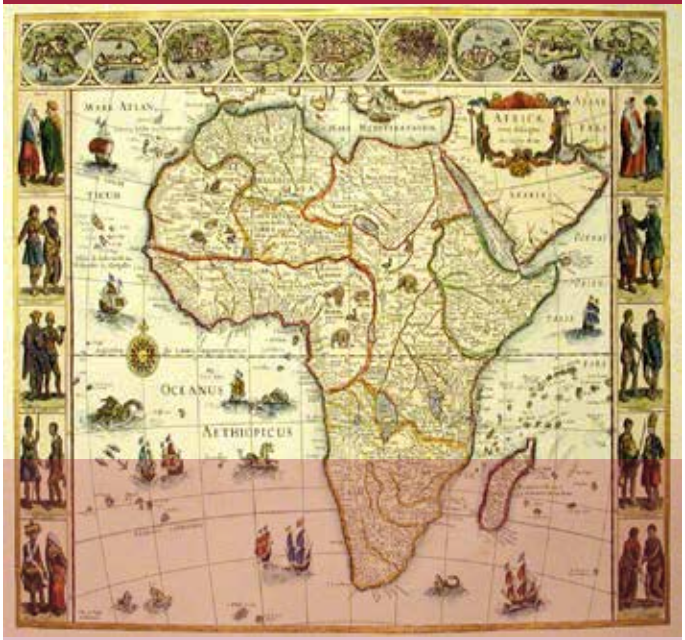

«البورجوازيين المحتلين»، ولم تترك أي مجال لما يُدعى بـ «ماضي السود».

لذلك، لجأ المؤرخون، في محاولاتهم الحديثة لاستكشاف هذا العالم، إلى التّراث الشفهي للبلدان الأفريقية، معتمدين عليه بوصفه أحد أبرز الطرق التي يمكنها الإضاءة على الشوائب الملحوظة في الوثائق المكتوبة، أو تبيان لغطٍ ما فيها، أو حتى معارضة بعض أفكارها، فكان التاريخ الشفهي وسيلة استطاعوا الاعتماد عليها لتأكيد بعض المعلومات التاريخية أو تعديلها أو حتى نفيها.

شكل الأمر تحديًا صعبًا، ولا سيما أن علم التاريخ شكّل تقنياته وطرائقه وإشكاليته انطلاقًا من دراسة المجتمعات الغربية وحدها. وبتطبيقه على مجتمعات مختلفة عنها، يبرز عدم تكافؤ أدواته، وهنا، «يحسّ المؤرخ بالضياع، الأمر الذي قد يدفعه إلى نفي احتمال وجود لتاريخ أفريقي».

وقد يقول البعض إنَّ الماضي الأفريقي لم يترك إلا كمية لا أهمية لها من الأدلة الوثائقية، ولا يمكن الوصول إليه. إنه «سوء حظ الشعوب التي لا تعتمد الكتابة». هل هناك مشكلة على مستوى الموارد؟ هل تنقص فعلًا؟

يذهب عالم الاجتماع الفرنسي كلود ليفي ستراوس إلى أنَّ أفريقيا الماضي، وفقًا لتعبيره، تتضمن مجموعة من المجتمعات التي تتفاوت من حيث المستوى الثقافي (ولم تكن كلها من دون كتابة)، غير أنه يستبعد فكرة «مجتمع من دون تاريخ». ويتساءل: ما هي شروط التوثيق وإجراء بحث تاريخي ينطبق على أفريقيا؟

في هذا الإطار، يستعرض الكاتب الفرنسي هنري مونيو في مقال له في مجلة «Annales» عددًا من الأنواع التوثيقية التي تساعد على كتابة التاريخ، وهي الوثائق المكتوبة، والتوثيق الشفهي، وعلم الآثار، من بين أنواع أخرى، غير أننا سنتطرق هنا حصرًا إلى النوع الثاني، أي التوثيق الشفهي، باعتباره، وفقًا لوصف الكاتب، خاصًا بأفريقيا.

يقول مونيو إنَّ «المجتمعات الأفريقية امتلكت دائمًا حضارة الكلمة، وكثيرًا ما أكَّد علماء الاجتماع السمة الخاصة لهذه التّقنية، وهي اللغة ومكانتها والنفوذ الذي تمنحها إياه إجادتها»، إضافةً إلى الدّور الاجتماعي الذي تلعبه.

يوضح مونيو هنا أنه لا يقصد هنا بكلمة «حديث» أي أمر يُنقَل شفهيًا، بل فقط الإرث المُنَظم اجتماعيًا في الأجيال السابقة. وبالتّالي، «ليست عملية النقل الشفهي حرة، لا على مستوى المبادرة بحد ذاتها، ولا على مستوى المضمون، غير أنه يمكنها امتلاك بعض الحرية في شكلها، إذ إنها تنقل فقط هيكل قصة ما (الشخصيات والأفعال والأماكن) أو غير حرة، إذ تذهب في النقل إلى الكلمات بحرفيتها، وتدرجها وترتّيبها بشكل ثابت».

ويرى أنَّ هذه الدرجة المتفاوتة من الحرية تتعلق بالنّوع المنقول، فالمتوارث من خلال المنقول الشفهي متنوع جدًا، لأنّ «أيّ منتج ثقافي لا يحيا إلا به [النقل الشفهي]: سواء كان أسطورةً، أو روايةً تاريخيةً (التاريخ الملكي والقبلي والقروي والعائلي...)، أو شجرةً للأنساب، أو أمورًا دينيةً، أو حكايات وخرافات، أو قصائد مغناة،

أو أدعيةً وطلاسم وأمثالًا وأحاجي، أو صيغًا لطقوس اجتماعية أو دينية أو سياسية...».

وتتعدَّد الأنواع والخيارات هنا بحسب أنواع المجتمعات، وتفرّد كلٍّ منها، فالمجتمعات الأكثر تنظيمًا على المستوى السّياسي طورت الأنواع الأكثر «تاريخية». وفقًا لمونيو، نحتاج، لحفظ الإرث التقليدي ونقله، إلى اختصاصيين، ويصعب تصنيفهم أيضًا كما في حال الأنواع بين رواة وممثلين مختصين وموظفين ونوع من وزراء معرفة الماضي، في مجتمعات هرمية: «سادة للغة» أو «سلالة من الشعراء» في رواندا. وكما يمكن تقييد النقل الشفهي أو تحريره، كذلك يمكن أن يكون هناك وجود أو عدم وجود لاختصاصيين في نقله.

«هذا النقل» الذي يمكن أن يكون معرفة مشتركة لدى كثيرين، أو حتى لدى الجميع، يشكل مصدر اهتمام للمؤرخ، حيث إنَّ جزءًا منه «لا طموح تاريخيًا» لديه، (أي القصص والأغاني)، غير أنها تستطيع «أن تحمل ذكرًا لحدث ما في الماضي، أو تعيد إحياء تقليد ما، أو أفكار مجموعة ما وأصالتها مقارنة بالمجموعات الأخرى».

وهناك جزء آخر - أي الأساطير والقصص الخرافية - «يحمل في طياته مادة تاريخية، موروثة من ماضٍ بعيد»، غير أنّ هذه المادة تظل بشكل فريد «عصية على عملية التّحقق منها، سواء بسبب التّفسيرات والتّحولات المتعددة التي خضعت لها، أو بسبب الإضافات التي تُمزَج بها».

أما الجزء الأخير، فهو ذو هدف تاريخي بحت، لأنه يتعلق بالقصص وتاريخ الأنساب والأديان، وهو حتمًا الأكثر غنى وثراء، إذ يستلزم يقظة النقاد، لأنه يُستَخدَم لغاية التمجيد أو التدريس، وقد تطور هذا النوع بشكل خاص في رواندا ولدى بعض المجموعات السّياسية في الغرب الأفريقي.

هناك بعض العوائق التي تشوب النقل الشفهي، أبرزها مشاكل لغوية، ومشاكل تقنية في التسجيل، ومشاكل أيضًا في الترجمة، وكلها تبرز لدى إرادتنا توثيق النص الشفهي وتحويله إلى وثيقة مكتوبة. ولدراسة الوثيقة الشفهيَّة، يجب تحديد أنواع التغييرات الحاصلة فيها، وكذلك مواطن القوة والأصالة فيها، في مقابل متغيرات النصوص المشابهة، وإيجاد الرواية الأكثر قابلية للتّصديق، وتحديد ما إذا كان الوضع الحالي للنص لم يتأثر بالتغيرات السائدة في الحقبة الزمنية المعاصرة (من تغيرات في الأدوار الاجتماعية، وتنصيب إدارة أجنبية، وصدمة ناجمة عن الأفكار التقليدية...).

في وجه كلِّ هذه المشاكل، وبهدف حلّها، «يحتاج المؤرخ إلى اتباع نهج محدد، يقوم على البحث والتّقصي، ومراقبة المعلومات الواردة، ومقابلتها مع روايات ومصادر أخرى، وكذلك إجراء مقارنة أوسع نطاقًا على مستوى هيكلية الأساطير والقصص الخرافية».

في هذا الإطار، يضيف مونيو أنه «يستحيل أن يكون جمع التاريخ الشفهي والإفادة منه ممكنين من دون إلمام وثيق بالشَّعب واللغة والثقافة التي يتعلق بها هذا التاريخ»، أي أنَّ المؤرخ يمكنه أن يكون عالمًا إثنيًا، وأنّ «الأفريقي الذي يجيد إجراء البحوث، يتمتع بفرصة أكبر للنّجاح في هذا المجال».

ويختم بالقول إنَ «التاريخ الشفهي يعاني من كونه مصدرًا غير اعتيادي». وفيما يتعلق بأفريقيا، فإنه «يتفوق على المصادر المكتوبة (حتى لو كانت هذه الأخيرة تتمتع بامتيازات معينة)، لأنه أوسع نطاقًا، ويحظى بتوزيع أفضل، كما أنّه صادر عن الشعوب التي يُصنَع تاريخه، غير أنه ستظهر دائمًا مشاكل جديدة في العمل التاريخي، وهذا أمر لا يمكن تفاديه بشكل قاطع ونهائي».

«كيف سيُكتَب تاريخ أفريقيا إذًا؟ ومن ذا الذي سيصنعه؟» تلك أسئلة قد لا يمكننا الإجابة عنها في الوقت الراهن، غير أننا [أي الكاتب] ندرك أن أي عمل في هذا الإطار «يصبّ في يقظة العالم الأسود بعد حقبة الاستعمار، وسيسمح لهذا العالم بإيجاد وجهه الحقيقي».

التاريخ وليد عصره، ويردّ دائمًا على الأسئلة التي تشغل بال الأخير. ومن حسن الحظّ، أنه غذاء لهذا العصر نوعًا ما، وليس مجرد تأمّل فكريّ.

المراجع :

1. انظر :

MONIOT Henri, “Pour une histoire de l’Afrique Noire”, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations Année 1962 Volume 17 Numéro 1 pp. 4664-,

http://www.persee.fr/doc/ahess_0395-1962_2649num_17_1_420788

غنى مونّس: باحثة ومترجمة وأستاذة جامعية من لبنان، تعمل أيضًا في مجال الصّحافة الإلكترونية. تعدّ رسالة ماجستير في الإعلام والتواصل في الجامعة اليسوعيّة في بيروت.

للتواصل عبر الإيميل: ghina.mouaness@gmail.com

wa Hikaya

متابعات

افتتاح معرض «صورة وحكاية» في بيروت

افتُتح في مسرح المدينة (الحمرا) في بيروت، معرض فوتوغرافي لمشروع «صورة وحكاية»، بمشاركة أكثر من 70 فتًى وفتاةً في عمر 14 إلى 18 سنة من لبنان وسوريا وفلسطين والعراق. يجمع المعرض الأعمال الفوتوغرافية والصّحافية التي تم إنتاجها ضمن المشروع الذي نفّذته جمعية مهرجان الصورة - ذاكرة، بالشراكة مع منظّمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف).

مشروع «صورة وحكاية» كان قد أُطلق في العام 2016 من قبل جمعية ذاكرة، بهدف تعزيز مهارات الشباب المهمّشين، ودعم التماسك والترابط بين المجتمعات اللاجئة والمضيفة. وقد مكّن المشاركين من أن يصبحوا صحافيين محليين، من خلال تدريبهم على إعداد التقارير والتقاط الصّور الفوتوغرافيّة.

وقالت ممثلة اليونيسف في لبنان، تانيا شابويزا، خلال افتتاح المعرض: «نحن نعلم جميعًا أنَّ الاستثمار في الشباب في العالم العربيّ هو أولوية ملحّة لوضع أسس متينة لتحقيق الاستقرار. ينبغي أن نلاحظ اليوم ما يراه الشباب من خلال عدسة الكاميرا، وما يعبرون عنه من قلق من خلال كتاباتهم ورواياتهم، فالأجوبة تكمن فيها».

وأشار رئيس جمعية «مهرجان الصورة - ذاكرة»، رمزي حيدر، إلى «أنَّ ما نراه في كتاب ومعرض صورة وحكاية هو مثال على ما يمكن تحقيقه عندما نعمل معًا على تجاوز الخطوط الطبقيّة والمجتمعيّة، ونعطي الفرصة للشَّباب للتحدّث عن التنوّع والاندماج والتحدّيات التي يرونها حولهم».

وتخلّل المعرض عرض فيلم وثائقيّ عن المشروع، وتوزيع كتاب يضمّ صور الشباب وأعمالهم خلال فترة التدريب.

ومضات من ذاكرة أنزا.. إصدار مغربيّ ينبش في الذّاكرة الشّفهيّة

صدر في العام 2016 كتاب «ومضات من ذاكرة أنزا أكادير» المغربيَّة، لمؤلفه محمد أحمد أزداك. يوثّق فيه الكاتب جملة من الأحداث التي ميَّزت أهمّ المحطات تاريخية لحي أنزا في أكادير، الواقعة غرب المملكة المغربية، منذ نشأته إلى حدود الزمن الراهن.

قسَّم أزداك كتابه إلى عدة محاور، تناول فيها بداية الاستقرار السكّاني في «أنزا تدارت»، وخاصيَّة التنوع الثقافي الذي تزخر به جلّ أحياء المدينة، كما خصَّص جانبًا مهمًا لتطوّر التعليم بشقيه العصريّ والتقليديّ، وإسهامات رجالاته ونسائه في هذا المجال، وتطرَّق أيضًا إلى أحداث وتفاصيل تشبع رغبة الشّغوفين بمعرفة جزء من تاريخ مدينة أكادير.

ويقول المؤلّف في توطئة الكتاب إنَّه اعتمد جاهدًا على النبش في الذاكرة الشفهيَّة لجيل «الأنزويين» القدامى، وأبناء أكادير عمومًا، ممن أسعفته الظروف للقاء بهم.

الإمارات: هيئة الشّارقة للوثائق تطلق مبادرات للأرشفة والتّوثيق

شاركت هيئة الشّارقة للوثائق والبحوث في الإمارات العربية المتحدة، في فعاليات أسبوع الابتكار في مركز إكسبو الشّارقة، بعدد من المبادرات التي ترتبط بالتوثيق والأرشفة والنبش في الذاكرة الشّفهيّة، من بينها مبادرة «ذكريات شارقتي»، «وثّق تاريخك»، «شاركنا أرشيفك»، و«ذكريات أوَّل».

في مبادرة «شاركنا أرشيفك»، يتركّز العمل على جمع وثائق وصور قديمة وبطاقات هُوية وشهادات ميلاد، كمساهمة في إثراء التاريخ وتوثيقه، من خلال مشاركة الشخص بأرشيفه، سواء كان صورةً أو خريطةً أو مخططًا أو رسالةً أو قصيدةً أو جريدةً.

أبصر المشروع النّور في أواخر العام 2016، بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات، من أجل إعداد أرشيف للمراحل السابقة والعمل على توثيقها، من خلال الصّور والأوراق والمستندات. وقد تم تعميم الفكرة والتواصل مع المهتمين من خلال مختلف وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعيّ.

المبادرة الثانية هي مبادرة «وثّق تاريخك»، وهي دعوة لزوار أسبوع الابتكار للمشاركة بصور معالم الشارقة القديمة والحديثة التي تم التقاطها، كلٌّ من أرشيفه. أما المبادرة الثالثة، فتحمل اسم «ذكريات شارقية»، وهي عبارة عن فيديو لمدة 15 ثانية، يتضمَّن معلومات وإجابات أدلى بها بعض زوار المنصة، بعد طرح سؤال واحد عليهم يوميًا، ليتمَّ العمل تخزينها، ومن ثم إرسالها إلى صاحبها عبر البريد الإلكتروني، كنوع من التوثيق والذاكرة، وهي محاولة لمشاركة الذكريات واللحظات المهمّة والراسخة في الأذهان عن مدينة الشارقة.

ترتبط المبادرة الرابعة بالتاريخ الشفهي، وتحمل اسم «ذكريات أول»، وفيها معلومات عن الأشخاص والأماكن والشخصيات العامة، جرى جمعها من خلال كبار السنّ ومقابلة الناس، للحصول على ما لديهم من معلومات ووثائق وصور.

وتتضمّن هذه المبادرة الّتي تنبش في الذاكرة تصوير فيديو مرئي وتسجيلًا صوتيًا، يحكي عن أيام زمان معلومات تاريخية وعامّة، اعتمادًا على الذاكرة الشفهيّة، من خلال حافلة مجهزة بأغراض التوثيق، تتحرك إلى الناس أينما تواجدوا، بهدف التوثيق والأرشفة.

ملتقى علميّ حول الأرشيف في تونس

لمناسبة اليوم الوطنيّ للأرشيف، افتُتِح في تونس الملتقى العلميّ الّذي تنظّمه إدارة الملكية العقارية حول «تثمين أرشيف إدارة الملكية العقارية وانعكاساته على المحيط»، بإشراف كاتب الدّولة لأملاك الدّولة والشؤون العقارية مبروك كرشيد.

وكان لكرشيد كلمة في الملتقى أشار فيها إلى أنّ «الأرشيف هو علم التوثقة، كما يطلق عليه القدامى، وهو حيّ ومتحوّل، ويجب الحفاظ عليه بشكل مضاعف، نظرًا إلى ما يتضمّنه من أمانة مادية واعتبارية»، مبينًا الدّور المهم الذي تمارسه إدارة الملكية العقارية في هذا المجال، وخصوصًا على صعيد حفظ الأرشيف على المستويين المركزي والجهوي، بحكم القوانين الصّارمة التي باتت تنظّمه.

وتحدّث عن دور المختصّين في حسن التعامل مع الأرشيف، فنظرًا إلى أنّ التعامل مع الوثيقة يعدّ فنًّا، وجب إتقانه بشكل جيّد، بغية حفظ الذاكرة الوطنيّة، مضيفًا: «إنّ الشّعوب التي ليس لها أرشيف هي شعوب مبتورة وبلا روح».

وشدّد كاتب الدّولة على مسألة رقمنة الأرشيف، حفاظًا على سلامة الوثائق والمخطوطات التي هي ملك للمجموعة الوطنيّة في النهاية.

ندوة «أوال» في معرض بيروت الدولي للكتاب 2016 تعرّفوا إلى «أرشيفو»

عقد مركز أوال للدراسات والتوثيق، في معرض بيروت العربي الدولي للكتاب 2016، لقاءً تعريفيًا بمجلة «أرشيفو» (أرشيف بالبرتغالية)، تناول التجربة التي خاضتها منذ انطلاقتها، وكيفية تطويرها، والعمل على تقديمها بما يتناسب مع المختصّ في علم الأرشيف ومختلف القراء الذين يمكن أن يطّلعوا عليها.

وتخلل اللقاء حلقة نقاش، تداول فيها عدد من المختصين في علم الأرشفة والمكتبات والباحثين والصحافيين، أفكاراً وطروحات متعلقة بقضايا الأرشيف والتوثيق والتأريخ، ودورها في حفظ الذاكرة من الضياع والاندثار.

وكان للقيمين على المركز كلمة تعريفية بعمله ونشأته وأنشطته، ركزت على «مشروع التّوثيق والأرشفة في «أوال»، ومساعيه الحثيثة لحفظ الذاكرة البحرينية عبر توثيق المستندات الورقية والإلكترونية كافة المتعلقة بهذه الذاكرة، ومساعدة الباحثين، والمتخصصين، وطلاب المعرفة كافةً، في الوصول إلى الوثائق والمصادر المتعلقة بالبحرين للاستفادة منها في مختلف المجالات».

جمعية الأرشيف والسّجلات الإيرلنديّة تعقد مؤتمرها السّنويّ حول الأرشيف

عقدت جمعية الأرشيف والسجلات في إيرلندا Archives and Records Association المؤتمر السنوي المعني بموضوع الأرشيف والتاريخ، الّذي استمر من 31 آب/ أغسطس إلى 2 أيلول/ سبتمبر 2016. وتم التطرق فيه إلى عدة مواضيع، من بينها التّعاون الدّوليّ لإعادة الأرشيف الّذي هُجّر إلى مكان آخر، الابتكارات في رقمنة الوثائق، والمراحل الّتي تمرّ بها الورقة.

ويتضمَّن مؤتمر جمعية (ARA) عدة عناوين، أبرزها «من 1916 إلى 2016 رحلة الوثيقة من مرحلة الحفظ إلى مرحلة تغريدة تويتر»، «إزالة الحدود - إعادة النظر في ممارسات التوظيف إلى تنويع القوى العاملة»، «البيانات الكبيرة في هذا العالم المتصل: عدو أم صديق؟»، «اعتماد الخدمات الأرشيفية والحفظ الرقمي المستقبلية: الخطوات المقبلة لتطوير المعايير»، «توفير خدمة السجلات في العالم المتغير لإدارة السجلات»، «البرنامج التعليمي «تأثير الأرشيف»: المستخدمين، الانفعالات والتأثير العالمي»، «الكل للواحد والواحد للجميع: العمل معًا في الممارسة التعاونية».

كذلك، يتخلل المؤتمر عدة ورش عمل، حول جعل الحفظ الرقمي جزءًا من دورة حياة المعلومات من الإدخال الآلي، وصولًا إلى القدرة على الولوج من قبل الجمهور العالمي، وصباغة النسيج لحماية والحفاظ على الكتب.

خبراء سوريّون يتدرَّبون على آليات حفظ المخطوطات والأرشيف

نظّم المعهد الألماني للآثار ومنظَّمة الأونيسكو، ورشة عمل تدريبية في العاصمة اللبنانية بيروت، عرضت لأفضل الممارسات في مجال صون المخطوطات والوثائق التاريخية والأرشيف ورقمنتها، في إطار «مشروع الصّون العاجل للتّراث الثّقافي السّوريّ».

على مدى أسبوع، تلقّى المشاركون، بما في ذلك موظّفون من مختلف الوزارات السورية والبلديات، وممثلون عن المنظمات غير الحكومية، وأعضاء النقابات والمجتمع المدني في سوريا، تدريبًا على استخدام التقنيات الحديثة لرقمنة المحفوظات والمخطوطات التي بحوزتهم، وتمّ تعريفهم إلى آليات العمل المناسبة، إضافةً إلى المعدات والبرمجيات المعتمدة في هذا المجال.

وقال المدرّب الأساسي في هذه الورشة، مدير قسم تكنولوجيا المعلومات في «المعهد الألماني للآثار»، رينهارد فورتش، إنَّ «الحفاظ على الأرشيف الخاص بالمواقع الأثرية والمدن التاريخية والمعالم الأثرية، هو أمر ضروري للحفاظ على الذاكرة الثقافية والتاريخية في سوريا»، مضيفًا: «هذا التدريب سوف يوفّر وثائق مرجعية للفرق التي ستشارك في أعمال الترميم وإعادة التأهيل بعد الصراع».

ومن الأهداف الرئيسية لهذه الورشة، إنشاء دليل بسيط وشامل باللغة العربية للخبراء السوريين، يمكّنهم من استخدام أدوات حفظ الأرشيف ورقمنته بشكل فعال. وبالاستناد إلى المبادئ التوجيهية للرقمنة المعتمدة حاليًا في ألمانيا، سيأخذ الدليل في عين الاعتبار خصائص الصراع السوري الحالي. وإضافة إلى الدورات النظرية، أجريت تدريبات عملية بدعم من مشروع «توثيق الإرث الثقافي السوري» وجامعة البلمند في لبنان.

وأشار فورتش إلى أنّ «الفكرة تكمن في الخروج بوثيقة قابلة للتنفيذ في ظروف الأزمة السورية»، كما تمّ التركيز على تدريب المشاركين لتمكينهم من إنتاج بيانات تعريف للصور الفوتوغرافية بشكل فعّال، من دون الحاجة إلى إدخال الكثير من المعلومات.

واعتبرت هلا أصلان، رئيسة «لجنة التراث» في «نقابة

المهندسين» في اللاذقية، أنّ من المهمّ جدًا معرفة كيفية التعامل مع مستند أو صورة كمنتج «خام»، والّذي يجب حفظه بحالته كما هي، من دون أيّ تعديل خارجيّ بهدف التّجميل. أصلان الّتي تنظم دورات تدريبية للمهندسين العاملين في مجال ترميم المباني التاريخية، أكّدت أنَّ «التوثيق الدّقيق خطوة أولى ضرورية جدًا لأعمال الترميم».

ومن المشاركين في الورشة، راما الضّاهر، رئيسة قسم العلاقات الدوليّة في فرع دمشق في وزارة الإدارة المحليّة والبيئة، الّتي تعمل حاليًا على ترميم بلدة معلولا السورية الّتي تشتهر بكنائسها القديمة. الضّاهر شرحت عملها في المساعدة على توثيق الإيقونات والممتلكات الأثريّة في معلولا، قائلةً: «بعض الإيقونات التي تم تدميرها لم يتمّ توثيقها، للأسف، وهذا يجعل استعادتها مهمّة صعبة. علينا أن نتأكّد من توثيق كلّ شيء في المدينة من أجل أيّ عمل مستقبليّ». وأضافت: «تعلّمت أساليب جديدة لتخزين المستندات وأرشفتها، وسوف نسترشد بها في عملنا».

من جهةٍ ثانية، تقود رئيس «لجنة التراث» في نقابة المهندسين في حلب، ريم خانجي، وهي مشاركة في الدورة، مشروعًا رائدًا لإنشاء قاعدة بيانات لجميع المباني التاريخية في المدينة. وهي تعمل مع مجموعة من المهندسين لجمع المعلومات والصّور حول المباني التاريخية والنصب التذكارية، لوضعها في قاعدة بيانات رقمية موحّدة. وقالت خانجي: «هناك العديد من التناقضات في المعلومات التي نجمعها ونتلقاها»، مشيرةً إلى أن عملها يتمثل في التحقق من المعلومات لإنشاء وثائق مرجعية يمكن للمسؤولين والخبراء والباحثين استخدامها. كما يواجه الخبراء والمعنيون تحدّيًا آخر يكمن في توثيق الوضع الحالي لبعض المعالم الأثرية.

وقد تطرَّقت الورشة إلى العقبات والتحديات التي تواجه الخبراء، ولا سيما التعامل مع المواد المرقّمة، والطريقة الفضلى لحفظ البيانات، والحؤول دون حصول «كارثة رقمية» وخسارة المواد، إضافةً إلى أساليب استعادة المحتوى الرقمي. وهنا شرح الخبير الألماني التقنيات المستخدمة للتخزين الآمن للبيانات، منها أجهزة RAID، الّتي تقلّل من احتمال فقدان البيانات، من خلال الاعتماد على عدد كبير من الأقراص الصّلبة لتخزين البيانات في وقت واحد.

وتضمَّنت ورشة العمل أيضًا زيارة لمكتبة «جافيت» في الجامعة الأميركية في بيروت، لإطلاع المشاركين على مجموعة المحفوظات التاريخية والأرشيف الخاص بالمكتبة. وتأتي هذه الورشة استجابة للمناقشات التي أُجريت خلال اجتماع بشأن «تحسين قوائم الجرد الخاصة بالتراث السوري»، الذي عقد في مكتب اليونسكو في بيروت في أيار/ مايو العام 2016. وسوف يعقب هذه الورشة حملة رقمنة للحفاظ على المخطوطات السورية تقودها الأونيسكو، كما ستوفّر الأخيرة ماسحات ضوئية متخصّصة لأصحاب المجموعات الأكثر عرضة للخطر.

«تاريخ النّقد الورقيّ اللبنانيّ».. أوّل مرجع يؤرّخ للعملة اللبنانيّة

صدر كتاب «تاريخ النقد الورقي اللبناني» (دار درغام للنشر، 2016)، للمؤلفين طوني عنقه ووسام اللحام، وهو أوّل مرجع يؤرخ للعملة اللبنانية باللغة العربية بشكل منهجيّ، عبر الاعتماد على الوثائق الرسمية ومصادر بحثية متعددة تتم دراستها للمرة الأولى، كأرشيف الجرائد الرسمية والمفوضية السامية الفرنسية.

يأتي هذا الكتاب في فترة يتزايد فيها الاهتمام بإرث لبنان وازدهار هوايات متنوعة، كجمع الطوابع والبطاقات البريدية القديمة، وتعدد الجمعيات التي باتت تهتم بتنظيم الندوات والمعارض حول تاريخ لبنان الاجتماعي، فضلًا عن افتتاح مصرف لبنان لمتحف العملات سنة 2013.

الكتاب يستعرض كلّ العملات النّقدية الورقيّة اللبنانيّة منذ سقوط السلطنة العثمانية وانسحابها من البلاد العربيّة سنة 1918، وحتى إنشاء مصرف لبنان سنة 1964، ويسرد نشأة النقد اللبنانيّ وتطوّره عبر الزمن، منذ قيام سلطات الانتداب الفرنسي بمنح البنك السّوريّ سنة 1919، وهو مصرف خاصّ، امتياز إصدار النّقد لكلّ البلاد تحت الاحتلال الفرنسيّ، مرورًا بالتّحولات العديدة التي عرفها هذا البنك الّذي تبدّل اسمه سنة 1924، ليصبح «بنك سوريا ولبنان الكبير»، ومن ثم «بنك سوريا ولبنان» سنة 1939. ويقوم الكتاب بشرح كلّ التفاصيل المتعلقة بكل ورقة نقدية، من حيث الجهة الطابعة وخصائصها المميزة وتاريخ وضعها في التداول، إضافة إلى تحديد مصدر الصور التي تظهر عليها.

ويؤكّد المؤلّفان أنّ الكتاب يعتبر الأول في نوعه، إذ يسدّ ثغرة مهمّة في معلوماتنا حول تاريخ لبنان الاقتصادي والثقافيّ، ويمنح هواة جمع العملة مصدرًا موثوقًا يرفع هوايتهم إلى مستوى البحث الأكاديميّ الجاد والرصين.

ولما كانت الطبعة العربيَّة شارفت على النفاد في غضون ثلاثة أشهر، نظرًا إلى الإقبال الكثيف من قبل المهتمّين والمكتبات، وبناء على طلب مجموعة من المؤسَّسات الخاصَّة، قامت دار النشر، بالتعاون مع المؤلفين، بترجمة الكتاب الَّذي صدر في نسختين فرنسية وإنكليزية في كانون الأول/ ديسمبر من العام المنصرم.

«لبنان على الشّاشة».. كتاب تأريخيّ لتجربة التلفزيون اللبنانيّ

«لبنان على الشاشة» Lebanon on Screen (هاشيت – أنطوان، 2017)، إصدار جديد للإعلامي اللبناني زافين قيومجيان، بدعم من السفارة الأميركية في بيروت، وجامعة البلمند في لبنان (ALBA).

قيومجيان استوحى عمله الجديد من كتابه السابق «أسعد الله مساءكم - مئة لحظة صنعت التلفزيون في لبنان» (هاشيت- أنطوان)، الذي جمع لحظات نادرة تؤرخ زمن تأسيس التلفزيون في لبنان منذ العام 1959 حتى بداية التسعينيات (1989)، على أعتاب نشوء «المؤسسة اللبنانية للإرسال»، وأضاف إليه 60 لحظة (نصًا وصورة).

الكتاب الصادر باللغة الإنكليزية يتضمن توثيقًا لعدة أنماط تلفزيونية، (توك شو، نشرات أخبار، ترفيه، مسلسلات)، وعرضًا تأريخيًا يقف عند العام 1995، مع صدور قانون الإعلام المرئي والمسموع، ويسجّل في الختام ثلاث لحظات، شكّلت منعطفًا في تاريخ التلفزيون اللبناني.

زافين أكّد خلال حفل توقيع للكتاب، أقيم في الأكاديميَّة اللبنانيَّة للفنون الجميلة - جامعة البلمند، «أهمية حفظ ذاكرة التراث الشعبي اللبناني الّتي جسَّدها التلفزيون، والتي وحّدت كلّ اللبنانيين منذ بداية عهد التلفزيون في العام 1959».

وأضاف: «هذا الكتاب، لكونه صادرًا بالإنكليزية، فإنه يتوجَّه إلى الجمهور العالميّ، لإطلاعه على تجربة التلفزيون اللبناني من منظار عالمي، ولاعتماده كمرجع وأرشيف لطلاب الإعلام وللأجيال المهتمة بالتلفزيون في لبنان والعالم، وخصوصًا أنَّ المكتبة العالمية الغنية بالكتب التي تتناول التجارب التلفزيونية لمعظم الدول باللغة الإنكليزية، تفتقد إلى تجربة التلفريون اللبناني، وهو ما يجعل الكتاب مرجعًا عالميًا».